

البيارق

فقه التحولات

المفكر الإسلامي

الحبيب أبوبكر العدني بن علي المشهور


البيارق


بسم الله الرحمن الرحيم

بيارق النُّبوَّة والأُبوَّة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم.. حمداً لربٍّ خصَّنا بمحمَّدٍ فأنقذنا به من ظلمةٍ ودياجر.

لقاء يتجدَّد، ووعدٌ يتأكَّد، ونحن في البيارق ومع البيارق وإلى البيارق، في محاولةٍ نقف فيها لا على مرحلة في ناحية أو جهة؛ بل تمتدُّ في مراحلَ وتحولاتٍ نكرع فيها ونرتشف من معينٍ وافٍ سَلسال من بحر النُّبوَّة الواسع.

الله سبحانه وتعالى خاطب نبيَّه فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]. فما أحوجنا أن نبحث عن أهل إرث النَّبيِّ ﷺ فكيف فيمن اجتمع لهم إرث الصِّلة الحسِّيَّة والمعنويَّة!

سيِّدي في بعض قصائدكم وجَّهتم إلى بعض مُحبيِّكم وطلبتكم فقلتم:

زِدْنـي أزيـدُكَ مِـنْ شَـرابِ أئِـمَّـةٍ
مـلَـكُـوا الزّمَـامَ وبَيَّنُـوا سِـرَّ البقَـا
وغـدا المُحِبُّ على الطَّريـقِ بِدَرْبهِمْ
مُـستَمسِـكًـا بـحِـبَـالِهِـمْ مُـتَـعلِّقَـا
هُمْ سَـادَةُ الأمَـلِ المُرَجَّى في الوَرَى
مِـــنْ بَابِهـمْ يُـعْطَـى الـمُرِيـدُ البَيْرقَا

هل هذه البيارق أُعطيات، وهل هي وراثة جيل عن جيل؟

بلا شـكَّ لمْ تُذكر في مثل هـذه الأبيـات إلَّا ولها مدلول، ومدلـول البيارق كما هـو حتىٰ في عنـوان الحلقة هـو عبارة عن إشـارة أو رمز إشـاريٍّ إلىٰ متعلّقات خاصَّة بمنهج الأبوَّة ومنهج النُّبوَّة، أو بمعنىٰ أدق منهج النُّبوَّة وهو الأوَّل ثم منهج الأبوَّة وهو الثَّاني.

والبيرق: هو إشـارة أو رمز أو علامة لشيء محدَّد أو لشيء معيَّن، فاختيارنا هنا (تعطىٰ البيرقا) إشارة إلىٰ أنه شيء مما يعطاه عن طريق المشـيخة، فقد يختلف عن نمـاذج أخرىٰ من الأعلام والرَّايات التي تعطىٰ بجانب آخر، لكن هـذه تعطىٰ ـ في تسلسـل المعرفة كما هو مشار في القصيدة ـ عن طريق المشيخة أو تعطىٰ

عن طريق الأئمَّة كرتبة تُمنح لصاحب هذا المقام أو لصاحب هذه الرُّتبة، وهي مسألة اصطلاحيَّة.

ربما يسأل البعض، أنه إذا كانت رتبةً أو درجةً أو فيها معنى من الإرث، هل هذا يجعل فكرنا الإسلاميَّ وديانتنا متقوقعةً جامدةً؟ فالزَّمن يتغيَّر واليوم العالم غير ساكن بل متحرِّك، فإذا كانت هذه البيارق تُعطى وتُعقد جيلاً بعد جيل، هنا نخاف على موضوع التحجُّر والجمود؟

التحجُّر والجمود هو نوع مما أوجده الله في الوجود له معناه، فلفظة التحجُّر والجمود لفظة نجدها تجري على ألسنة الناس، لكن أحياناً قد يكون فيها شيء من الظُّلم فهي ليست مبنيَّة على قاعدة شرعيَّة يعتمد عليها، فإنه لا يمكن على الإطلاق لإنسان يعتقد دائماً أنَّ الحياة هذه على صفة الجانب الشرعيِّ هي جمود، فالشَّرع لم يأت بجمود، الشَّرع جاء بالتَّجديد ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى: ١١]، اللهم إنَّ الجمود قد يحصل في الأفراد أو في الجماعات أو في المذهب أو في حملة الفكرة، فهم الذين يصابون بهذا.

أما حقيقة الفكرة أو حقيقة الرُّؤية أو حقيقة المطروح من

الحقِّ سبحانه وتعالىٰ علىٰ لسان نبيِّه ﷺ، وما بعد ذلك من مفهوم المدرسة الأبويَّة بما فيها لفظة البيرق فليس المقصود بها الجمود ولا شيء من هذه التَّعقيدات المتصوَّرة لدىٰ عقول الخلق، بل هو بمعنىٰ التَّجديد؛ لأن كلمة بيرق مثلها مثل الرَّاية ومثلها مثل العلم ومثلهــا مثل البنود فهي موجودة من قديــم الزَّمـان، فلا يمكن أن نحصر كلمة البيــرق في الجمود بينما اليوم الأعلام في كلِّ مكان علىٰ صفات متنوِّعة ومتجدِّدة وفي الألوان والأشكال وغير ذلك.

وإنَّ قصَّتي مع البيرق قد جاءت في نوع من أنواع المراحل والتــي كانت عندي فيهــا نوع من أنــواع الصُّعوبة، وليس ســرَّاً أن أتحــدَّث عن ما كان السَّــبب فــي معرفة هــذه الرُّتبــة أو هــذه الرُّؤية ـ وإن كانت مســألةً خاصَّةً ـ لكــن أحببتُ أن أقولها؛ لأنها ترتبط بالمفهوم والاختيار.

فأذكر أنه في فترة من الفترات مررتُ بصعوبةٍ في نشر الدَّعوة إلــىٰ الله وخاصَّةً في بعض البلاد المجاورة التي كنَّا فيها، فأُصبتُ بحالة من حالات الهمِّ، لعلي أن أكون أريد الظُّهور، أو لعلي أريد أن أكون معارضــاً لغيري ـ كما يفهم الناس مفهــوم التَّنافس وما إلــىٰ ذلك ـ، وفي ذلك الوقت طُلب منــي أن أُلقي خطبة الجمعة في مسجد من المساجد في تلك البلاد، وكنتُ متأزِّم الحالة؛ لأن

هذا المسجد ليس الذي كنت معتاداً عليه لكن هناك مسجد آخر.

وفي اللَّيل رأيت رؤيا فيها شيء من الاطمئنان، هي التي كانت السَّبب في هذا الموضوع من أساسه، فقد رأيتُ في تلك اللَّيلة أنَّ رجالاً يطيرون في الهواء ويحملون هذا البيرق نفسه، وهو عبارة عن علم مكوَّن من لونين أحمر وأبيض وخمسة نجوم في الأحمر، وجاؤوا يطيرون به وأدخلوه إلىٰ منزلي ووضعوه في الجدار، وقالوا: هذا لك، قلت لهم ما هذا؟ قالوا: هذا بيرق النُّبوَّة.

فأصبحت في الصَّباح مسروراً بهذه المسألة، وذهبتُ للجمعة وخطبتُ وكان عندي نوع من التَّفاؤل، بل وحوَّلت هذا البيرق إلىٰ علم رسمته رسمةً جديدةً ووضعته علىٰ صفته وهو الآن موجود، وتكلَّمتُ عنه بالتَّفصيل: فاللَّون الأحمر هو الدَّم، وأنَّ النُّجوم الخمسة هي أهل الكساء[١]؛ لأنَّه مستغرق لمسألة

---

(١) ويسمون كذلك بأهل العباءة. جمعهم رسول الله ﷺ تحت عباءةً واحدة وبشَّرهم فكانوا جميعاً خمسة، وفيهم قيل:

لي خمسة أطفي بهم حرّ لهيب الحاطمه

المصطفى، والمرتضى وابناهما، والفاطمه

انظر: «منتهىٰ السؤل علىٰ وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرسول ﷺ»، لعبد الله بن سعيد الحضرمي الشحاري، (٢: ٣٨٦).

الـدَّم وما يتعلَّق بهـا في حياتهم، والأبيض هو دعوتهم للسَّـلام، وقد كتبتها علىٰ أساس تفسير الرُّؤيا فالتَّفسير هكذا يقتضي.

في هذا السِّـياق نفهم سـيِّدي اسـتخدامكم لهذا المصطلح، ووجـدت أنَّ بعض أحبابكـم في أربطة التَّربية الإسـلاميَّة ربما في عـام (١٤٢٧هـ) جمعوا ملفوظاتكم فـي دروس الفجر وفي بعض المناسبات، فكان الاسم الذي اخترتموه (البيارق المنشورة).

كذلـك مـن أيَّـام وربما نعـرض لهذا فـي حلقـات كان لكم ملتقـى لـدورة في فقـه التَّحـوُّلات، وأعلنتـم أنَّ ثمَّـة أوسـمة تُقلَّد وتُعطى بحسب المراتب، وأنَّ أعلاها بيرق النُّبوَّة، وكذلك لكم في هـذا رسومات، وربما أيضاً يرد في أشعاركم لفظة البيرق كثيراً.

نرجـع مـرَّةً أخرىٰ إلىٰ أنَّ لفظة البيـرق ليـس فيها جمود، بـل هي تجديد، ومن هذا الباب الذي سـمعتَ عنـه أو بلغكَ أنَّ هناك أوسـمةً ونياشـين وألقاباً ومراتب، فهذا من باب بثِّ الرُّوح لدىٰ الأتباع ولدىٰ المرتبطين بالمدرسـة الأبويَّة النَّبويَّة الشَّـرعيَّة المربوطة بالعدالة والسَّـند علىٰ غرار ما نعيشـه في هذا العصر من سـماع الأوسـمة والنَّياشـين والرُّتب والألقاب التي أخذت بالعقل وإن لم تكن إسـلاميَّة بحتة، فرأينا أنْ نوجد شـيئاً من هذا

القبيل على شـكل صفة غالب الطُّلاب فـي الأربطة؛ لأنهم أبناء مـدارس عصريَّة وأبناء جامعات، فنريدهم أنْ يعرفوا أنَّ ارتباطهم بالمدرسـة الأبويَّـة مبنيٌّ على أصول وتراتيب بـل محدَّثـة، أي: بمعنى أنه من الممكن الاسـتفادة من الفكرة الموجودة في العصر الحديث المشـار إليها بالأوسـمة والألقاب والنَّياشين والشَّارات ونربطها بالمنهج الأَبويِّ النَّبويِّ، ونستخلص العبارات تحت هذا المدلـول ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى: ١١]، أي: جدّد الفكرة وجدّد الرُّؤية ما دامت تخدم الرُّؤية وتخدم الفكرة ولم تخرج ولم تشذّ عن أصول المنهجيَّة الفكريَّة أو التَّطبيقيَّة.

في كلامكم سيِّدي أشرتم إلى أنَّ البيارق نوعان: بيارق نبويَّة وبيـارق أبويَّة، حتى كنتُ اقترحـتُ أنْ يكون البرنامج بيارق النُّبوَّة، فقلتم: هو أوسع، بيارق النُّبوَّة وبيارق الأبوَّة. فما الفرق بين مرحلة النُّبوَّة ومرحلة الأبوَّة؟

أولاً معنـى لفظة الارتباط بـ(بيارق) بعمومها؛ أنَّ المسـألة تدل على عـدَّة تصوُّرات وتحوُّلات وتغيُّرات وإشـارات ورموز بعمومها.

ثم لـمّا نضعها في قسـمَيها: **قسم النُّبوَّة**؛ إذن فهو يتكلَّم عن

نشـر رايات لمرحلـة كان لها أصل في خدمة منهـج النُّبوَّة، وهي مرحلـة الرِّسـالة، ومرحلة الخلافة الرَّاشـدة التـي لها أصل في حديـث النَّبـيِّ ﷺ[1]، وما تلاها إلىٰ عصر المرحلـة الكربليَّة في زمن الإمام الحسين، أي أنَّ آخر مراحل بيارق النُّبوَّة هي استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام فهذه كلها نسمّيها بيارق النُّبوَّة.

ثـم بعدها بدأت مراحل **بيارق الأبـوَّة**، وهي مواقف الإمام علي زين العابدين بن الحسين الذي بنىٰ مباشرةً مدرسةً تشير إلىٰ تجاوز مسـألة الذَّمِّ ومسـألة الدَّمِّ، وبنىٰ بهذا مدرسـةً ذات اعتبار يطلق عليها (مدرسة النَّمط الأوسط)[2].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «تكون النُّبوَّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النُّبوَّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شـاء الله أن يكـون، ثم يرفعها إذا شـاء أن يرفعها، ثـم تكـون ملكاً جبرية، فتكون ما شـاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شـاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج نبوة»، «مسند أحمد»، (١٨٤٠٦).

(٢) النمط الأوسـط: الأئمـة والعلماء الأثبـات من آل البيـت والصحابة العـدول والتابعيـن ومن تبعهم بإحسـان إلىٰ يوم الديـن ممن اتصلت أسـانيدهم الشـرعية برسـول الله ﷺ منهجاً وأخلاقـاً، مندرجةً تحت معنـىٰ الحديـث: «يحمل هذا الدين مـن كلِّ خلف عدولـه»، انظر: =

فهذه بيارق الأبوَّة المقتبسة من بيارق النُّبوَّة التي هي الأصَل والأساس، فصار التَّسلسل عن طريق عدالة الرِّجال وسندهم.

ومـا بعد ذلك تكلَّمنا عنه في مصنَّف خاص؛ هو عبارة عن ملفٍّ يخصُّ تفسير ما هي بيارق الأبوَّة وما هي بيارق النُّبوَّة.

وهو مـن تطبيقات فقـه التَّحـوُّلات، فكلُّ المسـائل التي نـدور حولها ترجع إلـىٰ فقه التَّحوُّلات، فنجـد أنَّ هذه المراحل تقتضي أن توضع لها إشارات وأن توضع لها رموز وأن توضع لها علامات، وكان هذا من ضمن الأمور التي أشرنا إليها.

هنـا يَـرد سـؤال تحوُّلـيٌّ، هـو أنَّ النَّبـيَّ ﷺ لمـا اسـتخدم الرَّايات والألوية ـ ففي البداية اسـتخدم الألوية وعقدها في السَّرايا والغزوات وربما مع خيبر بدأ يسـتخدم الرَّايات ـ هل عايش الزَّمان بمقتضى المرحلة بأنهم كانوا يستخدمون الرَّايات؟ أم كان محتوى خاص للنُّبوَّة في الرَّايات والألوية التي يعقدها النَّبيُّ ﷺ؟

أولاً لنعلـم أنَّ الحجَّـة لنـا ولغيرنـا لمن يريـد أن يربطها

= «إحياء منهجية النمط الأوسط من سادة الصلح وبقية السيف»، للحبيب أبي بكـر العدني ابن علي المشـهور، ص ٧٨. وفيهم قـال الإمام علي رضي الله عنه: «خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي»، «مصنف ابن أبي شيبة»، (٣٤٤٩٨). وسيأتي ذكرها.

بالجانب الأبـويّ النَّبويّ، بأن النَّبـيَّ ﷺ فعل، فهي تدخل تحت دائرة سُـنَّة النَّبـيِّ الفعليَّـة، وهي الرَّايـات والشَّــارات بل وحتىٰ الألقـاب، فعندما تكلَّم عن بعض الصَّحابة وأعطىٰ كلًّا منهم لقباً وأعطـىٰ كلًّا منهم صفة وأعطـىٰ كلًّا منهم مرتبـة فهو يدخل في البيارق، مثل قوله ﷺ: «باب مدينة العلم»[١] في عليٍّ، و«أشبهت خَلقي وخُلقي»[٢] في جعفر، و«سـيف من سـيوف الله»[٣]، في خالـد، و«أمين هذه الأمَّة»[٤] في أبي عبيدة، والصدِّيق، والفاروق إلىٰ غير ذلك مما جرىٰ للصَّحابة.

فكلُّ هـذه مرتبطة؛ لأنها مرتبطـة بالمواقف، فلكلِّ موقف لقب ورتبـة وضعها النَّبيُّ ﷺ، وهي مثال يقتدي به الإنسـان في أنَّ مسـألة الرَّايات التي عقدها النَّبيُّ ﷺ لها مواقعها ولها مكانتها علىٰ أصل الواقع.

الحبيـب ﷺ في كلِّ فعله يجدِّد؛ لأن هذه الرَّايات موجودة من قبل، فعندنا في القرآن إشـارة لمسألة نبوَّة طالوت، فجاء لهم

(١) انظر: «المستدرك علىٰ الصحيحن»، (٤٦٣٧).
(٢) «صحيح البخاري»، (٥/ ١٩).
(٣) «صحيح البخاري»، (٣٧٥٧).
(٤) «صحيح البخاري»، (٤٣٨٠) و«صحيح مسلم»، (٢٤١٩).

هنـاك بـبقيَّة ممـا ترك آل موسـىٰ وآل هارون تحملـه الملائكة، فمعنـىٰ ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [البقـرة: ٢٤٨]: هو عبارة عن شـارة ورمز وكان سبباً في النَّصر.

فهذه إشـــارة إلىٰ أنَّ من ســلوك النُّبوَّة في تاريخ الأمم أنها تستخدم الشَّارات والألقاب والرُّموز لحكمة يريدها الله، وترتبط بالنِّـيَّـة وترتبـط بأفعال الأنبيـاء، فعندما يأخذهـا الأنبياء أو مـن ينطلـق من نفس المدلول ـ البيارق النَّبويَّة والبيارق الأبويَّة ـ يظل الارتباط والتَّسلسل قائم علىٰ أصوله الشَّرعية، وإن كان هناك في العالم الثَّاني أو في الجانب الآخر بيارق ورايات وأعلام إلىٰ غير ذلك، لكن دائماً التَّسلســل هو الأصل في تحديد الرُّؤية وتحديد الفكرة وتحديد الشَّارة وتحديد الرَّمز.

حتـى وجدت لكم في كتـاب «الأســس والمنطلقات» كلام طويـل عـن هـذا سـيِّدي نسـتأذنكم والمتابعيـن أن نطـوف معكم الحلقات القادمة في البيارق، حتى ندخل في مساحات ينفتح لنا بها عناويـن جمال هذا الدِّين، واتِّسـاع هذا الدِّين، وسـعة المفاهيم في أسـاليب مختلفة، ربما نطوف على جانب الرِّواية والشِّـعر والرَّسم والأفكار والمشـروعات التي طرحتموهـا، والرُّؤى التي قدَّمتموها للأمَّة في هذه المرحلة وربما في مراحل سبقت.

نحن مبذولين في الخدمة لأنّا نراها جزء من نشـاط الدَّعوة إلـىٰ الله بالحكمـة والموعظة الحسـنة، والدَّعوة إلـىٰ الله نماذج وتتنـوَّع بل وتزداد مـع ازدياد العصر وازديـاد الزَّمن، بل تكاد أن تكون تُلبِّي رغبة الجيل كلما تتطوَّر الجيل في جانب الشِّـعر وفي جانـب النَّثر وفي الجانـب الرِّوائيِّ وفي جانب الـذَّوق الفنِّيِّ في الاسـتخدام للقلم وفي الاستخدام للرِّيشـة وحتىٰ في الاستخدام للإنشاد وللأصوات نجد أنَّ ربط الإسلام بهذه الأمور له ضوابطه وله أُسسه وله منطلقاته.

بيارق التَّأريخ
فقهاء النُّصوص لا الأحداث

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما أجملها من لحظات ونحن نزور الأسد في عرينه في عدن، نسأل الله أن يحفظكم ويبارك فيكم وينفعنا بأنفاسكم.

الجميع إن شاء الله، حفظكم الله وبارك الله فيكم، وأهلاً بك في عدن، هذه عدن ـ ما شاء الله ـ مظهر جلال ومظهر جمال ولكلٍّ وِجهة هو مولِّيها.

سيِّدي الكلام عن عدن والكلام عن الموطن والكلام عن الذِّكريات.

الفلاسفة يقولون: «إنَّ التَّاريخ من معدَّات وجودنا»، وجنابكم في مؤلَّفاتكم خصوصاً في التَّنظير والتَّأصيل لفقه التَّحوُّلات أشرتم إلى أنَّ هناك علماً يسمَّى (علم الرَّبط بين الدِّيانة والتَّاريخ)، وحذَّرتم

فـي عدد من الكتابات سـواءً كانت موجزةً أو موسَّـعةً أنَّ ثمَّة أيدي تتسـلَّل إلى تاريخنا سواءً المحليُّ أو القريب أو حتى تاريخ الإسلام أو السِّـيرة النَّبويَّة وحذَّرتم من تهويد التَّاريـخ، وأننا محتاجون بهذا الفقـه ـ أي: فقـه التَّحوُّلات ـ أن نعيـد الكتابة ناظريـن إلى موضوع الرَّبط بين الدِّيانة والتَّاريخ.

وأحبُّ في هذا الموضوع ونحن نتكلَّم في البيارق أن نمسك اليوم في بيرق التَّأريخ ونقف على جهودكم في هذا الباب.

وقـد وجدت لكـم عدداً مـن المؤلَّفات مثل: «لوامـع النُّور» وقـد ترجمتم فيه لأحد أجدادكم وهو الجد علويّ بن عبد الرَّحمن المشهور.

كذلك «قبسـات النُّور» في والدكم الحبيب عليّ بن أبي بكر المشهور.

وكذلك عندكم «جني القطاف» في شيخنا الحبيب عبد القادر ابن أحمد السَّقَّاف.

ووجـدت لكم كذلـك مجموع اسـمه «الطَّـرف الأحور في تاريـخ مخـلاف أحـور» وهـو ترجمـة للبلدة التـي نشـأتم وولدتم وتربَّيتم فيها.

ومن سـنوات كذلك في أوَّل سنِّ الشَّـباب اقتنينا كتبكم عن المدرسة الحضرميَّة ـ هذه المدرسة التي تعدُّ اليوم مدرسةً أخلاقيَّة ومدرسةً لها تأثير الآن في الواقع المعاصر، والناس ترقب روحانيَّتها ونورانيَّتها ـ فترجمتم لأعلام السِّلسلة ابتداءً من سيِّدنا المهاجر.

سيِّدنا المهاجر أحمد بن عيسىٰ وبعد ذلك ما بعده من أولاده إلىٰ الفقيـه المقدّم، ثم ما بعد ذلك حتىٰ بلغنـا إلىٰ الإمام أبي بكر ابن عبد الله العيدروس ومَن في دائرتهم ومَن بعدهم حوالي خمسة عشـر كتيبـاً في هذا الجانب مـن أهل البيت ومن غيـر أهل البيت كمدرسة وليس كعائلة.

هـذا التنوُّع وهذا التَّعـدُّد في الكتابات والتَّوسُّـع في التَّراجم يدخلنـا حقيقـةً إلى الحفر في الذَّاكرة، فما هـي الدَّوافع التي كانت عندكم إلى مثل هذا التَّأريخ؟

حقيقـةً دائماً يقولون المعانـاة، أو الحاجة هي أمُّ الاختراع بحكـم أننا ننتمي إلىٰ مدرسـة والبيت الذي نشـأنا فيه وتربَّينا فيه يحمل هذا البيرق وهذا اللِّـواء كداعي إلىٰ الله، الوالـد، والجـدُّ، والمشـيخة التي أخذنـا عنهـا كلُّهم يـدورون في هـذه الدَّائـرة، فكان لنا نصيب بفضل الله وبنظرهم أننا ننظر في مسـألة التَّاريخ،

فـي عدد من الكتابات سـواءً كانت موجزةً أو موسَّـعةً أنَّ ثمَّة أيدي تتسـلَّل إلى تاريخنا سواءً المحليُّ أو القريب أو حتى تاريخ الإسلام أو السِّـيرة النَّبويَّة وحذَّرتم من تهويد التَّاريـخ، وأننا محتاجون بهذا الفقـه ـ أي: فقـه التَّحوُّلات ـ أن نعيـد الكتابة ناظريـن إلى موضوع الرَّبط بين الدِّيانة والتَّاريخ.

وأحبُّ في هذا الموضوع ونحن نتكلَّم في البيارق أن نمسك اليوم في بيرق التَّأريخ ونقف على جهودكم في هذا الباب.

وقـد وجدت لكـم عدداً مـن المؤلَّفات مثل: «لوامـع النُّور» وقـد ترجمتم فيه لأحد أجدادكم وهو الجد علويّ بن عبد الرَّحمن المشهور.

كذلك «قبسـات النُّور» في والدكم الحبيب عليّ بن أبي بكر المشهور.

وكذلك عندكم «جني القطاف» في شيخنا الحبيب عبد القادر ابن أحمد السَّقَّاف.

ووجـدت لكم كذلـك مجموع اسـمه «الطَّـرف الأحور في تاريـخ مخـلاف أحـور» وهـو ترجمـة للبلدة التـي نشـأتم وولدتم وتربَّيتم فيها.

ومن سنوات كذلك في أوَّل سنِّ الشَّباب اقتنينا كتبكم عن المدرسة الحضرميَّة ـ هذه المدرسة التي تعدُّ اليوم مدرسةً أخلاقيَّة ومدرسةً لها تأثير الآن في الواقع المعاصر، والناس ترقب روحانيَّتها ونورانيَّتها ـ فترجمتم لأعلام السِّلسلة ابتداءً من سيِّدنا المهاجر.

سيِّدنا المهاجر أحمد بن عيسىٰ وبعد ذلك ما بعده من أولاده إلىٰ الفقيه المقدّم، ثم ما بعد ذلك حتىٰ بلغنا إلىٰ الإمام أبي بكر ابن عبد الله العيدروس ومَن في دائرتهم ومَن بعدهم حوالي خمسة عشر كتيباً في هذا الجانب من أهل البيت ومن غير أهل البيت كمدرسة وليس كعائلة.

هذا التنوُّع وهذا التَّعدُّد في الكتابات والتَّوسُّع في التَّراجم يدخلنا حقيقةً إلى الحفر في الذَّاكرة، فما هي الدَّوافع التي كانت عندكم إلى مثل هذا التَّأريخ؟

حقيقةً دائماً يقولون المعاناة، أو الحاجة هي أمُّ الاختراع بحكم أننا ننتمي إلىٰ مدرسة والبيت الذي نشأنا فيه وتربَّينا فيه يحمل هذا البيرق وهذا اللِّواء كداعي إلىٰ الله، الوالد، والجدُّ، والمشيخة التي أخذنا عنها كلُّهم يدورون في هذه الدَّائرة، فكان لنا نصيب بفضل الله وبنظرهم أننا ننظر في مسألة التَّاريخ،

فـي عدد من الكتابات سـواءً كانت موجزةً أو موسَّـعةً أنَّ ثمَّة أيدي تتسـلَّل إلى تاريخنا سواءً المحليُّ أو القريب أو حتى تاريخ الإسلام أو السِّـيرة النَّبويَّة وحذَّرتم من تهويد التَّاريـخ، وأننا محتاجون بهذا الفقـه ـ أي: فقـه التَّحوُّلات ـ أن نعيـد الكتابة ناظريـن إلى موضوع الرَّبط بين الدِّيانة والتَّاريخ.

وأحبُّ في هذا الموضوع ونحن نتكلَّم في البيارق أن نمسك اليوم في بيرق التَّأريخ ونقف على جهودكم في هذا الباب.

وقـد وجدت لكـم عدداً مـن المؤلَّفات مثل: «لوامـع النُّور» وقـد ترجمتم فيه لأحد أجدادكم وهو الجد علويّ بن عبد الرَّحمن المشهور.

كذلك «قبسـات النُّور» في والدكم الحبيب عليّ بن أبي بكر المشهور.

وكذلك عندكم «جني القطاف» في شيخنا الحبيب عبد القادر ابن أحمد السَّقَّاف.

ووجـدت لكم كذلـك مجموع اسـمه «الطَّـرف الأحور في تاريـخ مخـلاف أحـور» وهـو ترجمـة للبلدة التـي نشـأتم وولدتم وتربَّيتم فيها.

ومن سنوات كذلك في أوَّل سنِّ الشَّباب اقتنينا كتبكم عن المدرسة الحضرميَّة ـ هذه المدرسة التي تعدُّ اليوم مدرسةً أخلاقيَّة ومدرسةً لها تأثير الآن في الواقع المعاصر، والناس ترقب روحانيَّتها ونورانيَّتها ـ فترجمتم لأعلام السِّلسلة ابتداءً من سيِّدنا المهاجر.

سيِّدنا المهاجر أحمد بن عيسىٰ وبعد ذلك ما بعده من أولاده إلىٰ الفقيه المقدّم، ثم ما بعد ذلك حتىٰ بلغنا إلىٰ الإمام أبي بكر ابن عبد الله العيدروس ومَن في دائرتهم ومَن بعدهم حوالي خمسة عشر كتيباً في هذا الجانب من أهل البيت ومن غير أهل البيت كمدرسة وليس كعائلة.

هذا التنوُّع وهذا التَّعدُّد في الكتابات والتَّوسُّع في التَّراجم يدخلنا حقيقةً إلى الحفر في الذَّاكرة، فما هي الدَّوافع التي كانت عندكم إلى مثل هذا التَّأريخ؟

حقيقةً دائماً يقولون المعاناة، أو الحاجة هي أمُّ الاختراع بحكم أننا ننتمي إلىٰ مدرسة والبيت الذي نشأنا فيه وتربَّينا فيه يحمل هذا البيرق وهذا اللِّواء كداعي إلىٰ الله، الوالد، والجدُّ، والمشيخة التي أخذنا عنها كلُّهم يدورون في هذه الدَّائرة، فكان لنا نصيب بفضل الله وبنظرهم أننا ننظر في مسألة التَّاريخ،

فـي عدد من الكتابات سـواءً كانت موجزةً أو موسَّـعةً أنَّ ثمَّة أيدي تتسـلَّل إلى تاريخنا سواءً المحليُّ أو القريب أو حتى تاريخ الإسلام أو السِّـيرة النَّبويَّة وحذَّرتم من تهويد التَّاريـخ، وأننا محتاجون بهذا الفقـه ـ أي: فقـه التَّحوُّلات ـ أن نعيـد الكتابة ناظريـن إلى موضوع الرَّبط بين الدِّيانة والتَّاريخ.

وأحبُّ في هذا الموضوع ونحن نتكلَّم في البيارق أن نمسك اليوم في بيرق التَّأريخ ونقف على جهودكم في هذا الباب.

وقـد وجدت لكـم عدداً مـن المؤلَّفات مثل: «لوامـع النُّور» وقـد ترجمتم فيه لأحد أجدادكم وهو الجد علويّ بن عبد الرَّحمن المشهور.

كذلك «قبسـات النُّور» في والدكم الحبيب عليّ بن أبي بكر المشهور.

وكذلك عندكم «جني القطاف» في شيخنا الحبيب عبد القادر ابن أحمد السَّقَّاف.

ووجـدت لكم كذلـك مجموع اسـمه «الطَّـرف الأحور في تاريـخ مخـلاف أحـور» وهـو ترجمـة للبلدة التـي نشـأتم وولدتم وتربَّيتم فيها.

ومن سـنوات كذلك في أوَّل سنِّ الشَّـباب اقتنينا كتبكم عن المدرسة الحضرميَّة ـ هذه المدرسة التي تعدُّ اليوم مدرسةً أخلاقيَّة ومدرسةً لها تأثير الآن في الواقع المعاصر، والناس ترقب روحانيَّتها ونورانيَّتها ـ فترجمتم لأعلام السِّلسلة ابتداءً من سيِّدنا المهاجر.

سيِّدنا المهاجر أحمد بن عيسىٰ وبعد ذلك ما بعده من أولاده إلىٰ الفقيـه المقدّم، ثم ما بعد ذلك حتىٰ بلغنـا إلىٰ الإمام أبي بكر ابن عبد الله العيدروس ومَن في دائرتهم ومَن بعدهم حوالي خمسة عشـر كتيبـاً في هذا الجانب مـن أهل البيت ومن غيـر أهل البيت كمدرسة وليس كعائلة.

هـذا التنوُّع وهذا التَّعـدُّد في الكتابات والتَّوسُّـع في التَّراجم يدخلنـا حقيقـةً إلى الحفر في الذَّاكرة، فما هـي الدَّوافع التي كانت عندكم إلى مثل هذا التَّأريخ؟

حقيقـةً دائماً يقولون المعانـاة، أو الحاجة هي أمُّ الاختراع بحكـم أننا ننتمي إلىٰ مدرسـة والبيت الذي نشـأنا فيه وتربَّينا فيه يحمل هذا البيرق وهذا اللِّـواء كداعي إلىٰ الله، الوالـد، والجـدُّ، والمشـيخة التي أخذنـا عنهـا كلُّهم يـدورون في هـذه الدَّائـرة، فكان لنا نصيب بفضل الله وبنظرهم أننا ننظر في مسـألة التَّاريخ،

فالتَّاريــخ يكتب بعدَّة نماذج، وكلٌّ يكتــب التَّاريخ وفق نظره، بل عندما ظهر فقــه التَّحوُّلات ـ بفضل الله ـ وجدنا أنَّ قراءة التَّاريخ قــراءة أحــداث وأنَّ هناك جزءاً مــن قراءة التَّاريخ ليســت أحداثاً وإنما هي نصوص، فنحن ربطنا بين التَّاريخ والدِّيانة.

ممكن سـيِّدي نتوقَّف عند هذه النُّقطة، فقد سـمعت في عدد مـن المحاضرات لكم: «يا شــباب يـا أبنائي يا إخوانـي يا مهتمِّين ارتفعوا عن زئبقيَّة الحوادث إلى استشراف النُّصوص» ما المقصود بهذا؟

المقصــود بهــذا أنَّ النُّصوص محصَّنة بلســان النُّبوَّة أو من تحتها بلسان الأبوَّة.

وأما الحوادث فهي كتابة تاريخ؛ أي وقائع وأحداث تروىٰ من هنا وهناك، وإن كان بعض مصدرها يرتبط بالأبوَّة فلا بأس به أو بعضها يرتبط بالنُّبوَّة فلا بأس، لكن أحياناً يكون مجرد روايات أو أحاديث تتحوَّل من وصف حديث أو وقائع إلىٰ ديانة ينبني عليها ولاء وبراء وانتماء فهذه مشكلة؛ فالولاء والبراء والانتماء لايكون إلا عــن ديانة والدِّيانة مرتبطة بنصوص،فلا بد ـ كما يقولون ـ في زمن أســلمة التَّاريخ سواء كان التَّاريخ الإنســانيُّ بعمومه أو كان

التَّاريخ النَّبويُّ الأبويُّ الذي بدأ بحبيبنا ونبيِّنا محمَّد وما تلاه إلىٰ هذا العصر إلىٰ قيام السَّاعة، فهناك قراءة نصِّيَّة للتَّاريخ في مفاصل معيَّنة هي التي تيسَّرت لنا بسببين:

السَّبب الأوَّل: أنَّ عدن التي عشنا فيها ودرسنا فيها وخاصَّةً نهاية الدِّراسة الجامعيَّة كانت المرحلة صعبة؛ وهي مرحلة الوجه الاشتراكيِّ الأحمر في تلك المرحلة التي نحن درسنا فيها.

كنا نسمع كيف يُقبع التَّاريخ! وكيف يُتكلَّم عن التَّاريخ الإسلاميِّ! وكيف تُفسَّر الأمور بالتَّاريخ الماديِّ!

وكان هذا مثل الكابوس علىٰ الصَّدر، وأنا أسمع المحاضرين وأسمع من يتكلَّم عن الديالكتيك[1] الماديِّ ومشاكل الحياة والقراءة التَّاريخيَّة الشَّيطانيَّة والقراءة التَّاريخيَّة الشُّيوعيَّة وما إلىٰ ذلك إلىٰ حدِّ المسخ لمفاهيم الإسلام ذاتها وقراءتها التَّاريخية، فكان هذا عاملاً مساعداً إلىٰ عودة القراءة للنُّصوص التَّاريخيَّة، فجاءت مع بداية الفهم لفقه التَّحوُّلات إعادة قراءة التَّاريخ بالنُّصوص، ثم تعتبر الوقائع داعماً له وليس العكس، فكثير من المدارس الإسلاميَّة تجعل الحدث هو الأصل

(١) باليونانية وتعني الجدل أو المحاورة.

ثم تؤيِّده بالنَّص، والأصل هو العكس أن تأتي بالنَّص ثم بعد ذلك إذا أيَّدتهُ الوقائع فذاك وإن خالفته الوقائع فالاعتماد على النَّص.

مثل ما يجري الآن في تاريخنا حول قضيَّة بعض الصَّحابة أو بعض نساء النَّبيِّ كثير من الناس بناها على الحوادث ولم يبنها على مواقف النُّبوَّة ولا على النُّصوص.

حتى لا نظلم أحداً، ولا نجعل الوقائع مدرسة دين فهي مدرسة كتابة أو تاريخ ينقل، لكن الأصول في من قذفه النَّبيُّ أو أقام عليه النَّبيُّ حجَّةً أو قدحه رسول الله ﷺ في عصره أو تكلَّم عنه في المستقبل إلى قيام السَّاعة.

حتى لما سنأتي في دراستنا للتَّاريخ سنجد أنَّ كلَّ القراءات التَّاريخيَّة المرحليَّة ـ وهذا موجود عندنا في كتيِّب بيارق النُّبوَّة والأبوَّة ـ لأنك عندما تتكلَّم عن بيارق النُّبوَّة وبيارق الأبوَّة لا بد أن تتكلَّم عن البيارق السَّلبيَّة الموجودة في المرحلة؛ فتكلَّمنا عن التَّسلسل الذي انفصل عن الدِّين بحكم نوعيَّة السَّلبيَّة وعن المدارس الأبويَّة الصَّحيحة التي تسلسل فيها مفهوم البيارق النَّبويَّة والأبويَّة إلى زماننا وإلى عصرنا إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، بل حتى إلى المرحلة المعروفة بالمرحلة المهديَّة والمرحلة

الدَّجاليَّة والمرحلة العيسـويَّة والمرحلة اليأجوجيَّة وحتىٰ المرحلة التي سمَّيناها مرحلة الانحلال أو الانحلاليَّة إلىٰ آخر شيء.

أشـــرتم إلى عـدن بالوجه الأحمـر في مرحلـة من المراحل تجعلنا نقف مع رواية لكم بعنوان: «الخروج من الدَّائرة الحمراء»، واعتبرتـم فيهـا أنكم انتقلتم مـن الدَّائرة الحمراء فـي هجرتكم إلى الحجاز بالدَّائرة الخضراء هنا عندي سؤالان، الأوَّل: لماذا اعتبرتم أنهـا انتقـال من دائرة إلى دائـرة ولـم تكن من مربَّع إلـى مربَّع أو من حقل إلى حقل لماذا استخدمتم الدَّائرة؟

لأن الدَّوائـر دائماً تكـون مربوطةً كالسِّلسـلة بغيرها، أمـا المربعـات قد تكـون موقعاً منفصـلاً كمربَّع، لكـن الدَّوائر هذه دائمـاً تكون مثل سلسـلة الحلقة فهـذه الدَّوائر التـي نتكلَّم عنها كانت الدَّائرة الحمراء مربوطةً بالفكر الأحمر، والدَّائرة الخضراء مربوطة بفكر معين وهكذا، فسـنجد أنها كلهـا دوائر ربما تكون تمثِّل حلقةً معيَّنةً في تاريخ معيَّن مبنيَّة علىٰ القراءة النَّصيَّة.

وهـل هذه قاعـدة نأخذها في قراءتنا للتَّاريـخ بأن نبنيها على الدَّوائر وليس على الكيانات المستقلَّة أوالمربَّعات المنفصلة؟

إذا ارتبطت بفقه التَّحوُّلات فنعم.

السُّـؤال الثَّاني: إذا رجعنا قليلاً لكتابكم «الطَّرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور» ما هو اللون الذي تعطونه للمرحلة؟

ما بين لونين الأصفر كجزء من الصَّحراء الموجودة واللون الأخضـر، ويمكن أن يكون بينهما خـط أزرق لأنها منطقة بحريَّة أو ساحليَّة.

جميـل يعني يوشـح بثـلاث ألـوان كلٌّ واحـدة لهـا معلمها ومعانيها؟

هذه تكاد أن تكون هي الغالبة في بلدنا.

فتـرة أحـور ربما أخذت عقدين ونصف مـن الزَّمن كان فيها معيشتكم ونشأتكم؟

النَّشأة والتَّعلُّم وبناء المدركات الأولىٰ كانت في هذه المنطقة منطقـة أحـور في فترة مـا كانت سـلطنة ثم بعد ذلـك في مرحلـة الاستقلال ثم في مرحلة ما بعد الاستقلال إلىٰ فترة معيَّنة لما بدأت الأمور تزداد احمراراً بالطَّبع انتقلت إلىٰ عدن من منطقة أحور.

هذا ربما كان في مقتبل الثلاثينيات؟

لأجل إكمال الدراسة لأنه حصل تصادم بيننا وبين القائمين

علىٰ موقع التأثير التعليمي والمنهجي لما كنا هناك لانعدام وجود الشهادة الرسمية، نحن درسنا دراسة أبوية لم أتعلم دراسة منهجية تعليمية.

أبويَّة تعني دراسة السَّند؟

دراسة السَّند دراسة الآباء والحلقات عند والدنا ومشايخنا، وكانت عندنا مدارس لكن مبتدئة من الصَّفِّ الأوَّل إلىٰ الرَّابع في أساسها الأوَّل فلما جاءت تغيُّرات المرحلة.

وكنت مدرِّساً بحكم أنَّ الوالد كان هو المشرف علىٰ تعليم المنطقة فجاء أهل العمل الإداريِّ فطلبوا الشَّهادة فما كانت عندي شهادة ذات اعتبار رسميٍّ وإنما كان عندي قدرة معرفيَّة فلم يعتبروا القدرة المعرفيَّة، وقالوا: لا بدَّ من تحصيل الشَّهادة، فانتقلت إلىٰ عدن لأجل أن أكمل الدِّراسة، فأكملت أوَّلاً المتوسِّطة ثم الثَّانويَّة ثم أكملت الجامعة.

وبنفس الوقت كنت مدرِّساً، وأباً في عائلة؟

بالطَّبع أب في عائلة ومتزوِّج وعندي أولاد وما إلىٰ ذلك.

المتابع في كتبكم يجد هذه الكتب ليست مجرد تأريخ منفصل عن علوم أخرى، ففي بعض الكتب وجدت لكم اهتماماً

بالأنساب وذكر للنَّسب والمصاهرات والمداخلات، وفي بعض الكتب وجدت لكم جمعاً للمساجلات الشِّعريَّة والمعارضات، وفي بعض الرِّحلات مثل: «جني القطاف» ـ خصوصاً أنَّ ابنكم وخادمكم من الشَّام ـ فكنت أقرأ رحلة الحبيب عبد القادر التي وثَّقتموها إلى الشَّام وخصوصاً إلى لبنان وإلى سوريا فدخلنا إلى ناحية في الجغرافيا، فلا أدري ما هي الظُّروف التي عاونتكم أو الأمور التي اتَّسعت أن تجمعوا بين ذكر النَّسب وذكر الأخبار من حيث الجغرافيا، والتَّنقُّل والمساجلات والمعارضات الشِّعريَّة.

وفي بعض الكتب كذلك نقلتم جانب من المدارسات والمحاضرات مثل «لوامع النُّور» و«قبسات النُّور». في أعلام حضرموت دخلتم إلى ناحية أخرى أطلتم فيها النَّفس من ناحية التَّأصيل وكأنكم توقَّعتم معارضةً أو مضادَّةً من أحد على بعض المسائل التي كانت في تراث الأمَّة وفي تاريخ المدرسة فاتَّسع منكم النَّفس لمسألة التَّأصيل الفقهيِّ والحديثيِّ وربما العقديِّ في بعض الجوانب.

سبب ذلك يكاد يكون موضوع المرحلة ذاتها يكاد يكون من بعد ما بدأنا ندرس الدِّراسة الحديثة بعد خروجنا من أحور إلىٰ عدن والدُّخول في غمار الحياة ضمن العواصم وسماع

المحاضرات وسماع الشَّخصيَّات التي لها تأثير معرفي ورأينا الهجمات على مدارس السَّلف وبالطَّبع على المدرسة المذهبيَّة وعلى المدرسة الصُّوفيَّة وعلى مدرسة آل البيت من عدَّة نماذج؛ جزء منها مرتبط بالإسلام ذاته وجزء منها مرتبط بالمدرسة العلمانيَّة التي كانت في تلك المرحلة، فالاحتكاك الدَّائم مع هذه النَّماذج جعلني أعيد القراءة لتاريخنا وتاريخ مدرستنا وتاريخ هذه الدَّعوات التي تأتي بين الحين والآخر لأجل نزع جذور الماضي وإصباغ ألوان جديدة على المراحل مع ذمٍّ الماضين وتمجيد الواقع المعاصر بما فيه من متناقضات، فكان هذا عاملاً مساعداً على إعادة صياغة التَّاريخ.

فلهذا كان بعض المؤلَّفات التي قرأتها وأعجبني منها كتاب «تاج العروس» وقد كان مخطوطاً، وذلك لطريقة عرضه للتَّراجم فأنا اقتديت به في هذا الجانب خاصةً لما كتبت «جوامع النُّور» ولما كتبت «قبسات النُّور» ولما كتبت «جني القطاف» بالذات هذه الثَّلاث كتب لأنها ترتبط بالمدرسة كلاهما «لوامع النُّور» يرتبط بمدرسة حضرموت وموقع الجدّ علوي في هذه المدرسة سواءً كان في داخل حضرموت أو كان في انتشاره في الموقع الإقليميِّ أو كان في البلد العالميَّة التي انتقل إليها في البلاد

الإسلاميَّة، كذلك الوالد نفس الشَّيء أخذ نفس المجال في موقعه المحليِّ في أحور وموقعه الإقليميِّ في منطقة اليمن وموقعه فيما خرج إليه للمناطق الأخرىٰ في البلدان الأخرىٰ.

الحبيب عبد القادر بحكم الاتِّساع لأنه أشمل وأشمل وكان الوقت متأخِّراً في الكتابة فكان الموضع كذلك بهذه الصِّفة وبهذا النَّوع من الامتداد الجغرافيِّ، بل حتىٰ امتداد تاريخيٌّ في مسائل السَّند والعدالة بربط هذه المدارس بأصولها بل وإعادة صياغة قراءة المدرسة الصُّوفية نفسها علىٰ أساس كيف يفهم الناس أنَّ المسألة ليست مديح رجال وليست هي المسألة انتقال أسر وعائلات لكن المسألة هي دفاع عن منهج وهي دفاع عن طريقة ودفاع عن مدرسة.

فتجد أنَّ المنهج، الطَّريقة، المدرسة هي عبارة عن تأصيلات تربط الناس بالكتاب بالسُّنَّة بالنُّبوَّة بالمراحل السَّابقة حتىٰ يعرف الناس ما هو مدلول، مثلاً الصَّلاة علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وعلىٰ الصَّحابة وعلىٰ التَّابعين وعلىٰ تابع التَّابعين وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، تسلسل كلُّ يوم نسمعه حتىٰ في الخطب الجمعيَّة ما هذا التَّسلسل؟ هذا هو الارتباط الأبويُّ النَّبويُّ الذي أعيدت صياغته في أكثر من ترجمة مع ذكر حوادث

الأزمنــة ومواقع الرِّجال وما قدَّموه من خدمات للأمَّة وما جدَّدوه في دائــرة التَّعليم وفي دائرة التَّربية وفي دائرة القيم والأخلاق في المجتمعات تحت مفهوم حفظ اللِّســان عن الذَّمِّ وحفظ اليد عن الــدَّم؛ لأن هذه مدرســة متسلســلة أما الذين خاضوا فــي الذَّمِّ أو خاضوا في الدَّم فلهم موقع آخر.



بيارق الرِّواية
الدَّوائر والألوان

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اليوم في العصر الذي نعيشه نشهد طفرةً في مجال الرِّوايات وصناعة السِّينما والمسلسلات والأفلام سواءً السَّينمائيَّة أو الوثائقيَّة حوَّلت بعض الرِّوايات التي كانت تمهيداً لفلسفة معيَّنة إلى واقع معيش في حياة الناس، وشكَّلت مع الثَّورة الرَّقميَّة وعالم الدِّيجيتال حضوراً واسعاً، حقيقةً وأنا أفتِّش وأقمِّش في مكتبتكم المخطوطة والمطبوعة وجدت رواية إذا مسكها القارئ لا يستطيع أن يتركها حتى ينهيها.

كُتبتْ ـ أي الرِّواية ـ في عام ١٩٨٠م أثناء رحلتكم من جنوب اليمن إلى الحجاز، وعبَّرتم عنها باسم «الخروج من الدَّائرة الحمراء»، وقد جاءت الرِّواية على قسمين: قسم الخروج من عدن

إلى الحديدة، والقسم الثَّاني ـ وكأنَّ الخيارات كانت غير واضحة أو السِّيناريوهات ـ كان من الحديدة إلى جدَّة.

الظُّروف التي جاءت فيها الرِّواية ـ وقد قرأتها ـ في السُّطور الأولى ظروف صعبة كانت في مرحلة اليمن وظروفكم العائليَّة، خاصَّةً فقد الزَّوجة وأربعة من أبنائكم مع جدِّهم وجدَّتهم في جدَّة، يبدو تردُّدكم إلى المكاتب الرَّسميَّة ومن يملك القرار لم يسعفوكم أبداً بإجازة أو موافقة على السَّفر في تلك الظُّروف جاءت القصَّة.

أو بمعنىٰ أدق جاءت تحكي الحال الذي جرىٰ في تلك المرحلة الثَّقيلة والصَّعبة، هي مرحلة فرغنا من الدِّراسة كنا فيها في الجامعة وكنا نرغب أن نواصل دراستنا، وأكملت الدِّراسة، وحصلت الوفاة فجأة وغيَّرت عندي كثيراً من الأمور المتعلقة بحياتي الخاصَّة، ولذلك أرسلت أولادي إلىٰ جدِّهم هناك وللأسرة يعتنوا بهم وبقيت سنةً. هذه السَّنة كانت ثقيلةً عليّ جداً. كتبتُ فيها مجموعةً من القصائد والآراء والأفكار التي عايشت فيها نوعاً من أنواع الانفراد وحسرة الفراق وما إلىٰ ذلك، وكلُّ هذه جمعتها حتىٰ في دواوين محفوظةً في هذا الجانب، سواءً كان في «فيض الذِّكريات» أو في غيره من الدَّواوين الأخرىٰ التي جَمعت هذه المسائل الخصوصيَّة، حتىٰ أنا لي فيما يتعلَّق بشأن

العلاقة بالأسرة والحصول الذي حصل ديوان سمَّيته «الميراث» وهو ما يخصُّ الأسرة في علاقتنا الخاصَّة بعد وفاة الزَّوجة وما إلىٰ ذلك من تربية الأولاد ومتعلَّقات الألم الذي حصل في تلك المرحلة الثَّقيلة علينا في ما مرَّ.

ولكن الأثقل منها الظُّروف الاجتماعيَّة والظُّروف السِّياسيَّة والشَّيء الذي أراه في الواقع يدمِّر البنية الشَّرعيَّة التي جاء بها الدِّين في بلدنا بالطبع؛ فاليمن أرض الإيمان اليمانيِّ والحكمة اليمانيَّة[1] لكن أرىٰ أنَّ الأرضة تنخر في وقائع الدِّين وفي الجيل تدمِّر عليه علاقته بدين الإسلام بالطبع في مظاهر مخيفة جداً لو نشرحها ونتحدَّث عنها، فنحن وضعناها علىٰ شكل ومضات في كتاب الدَّائرة الحمراء، والخروج من الدَّائرة الحمراء والبواعث المؤديَّة إلىٰ الخروج وبعد ذلك الوصف الحقيقيُّ للحالة التي عاشتها البلد في تلك المرحلة، بالطبع هي موجودة أغلب شيء في كتاب «الدَّوائر الحمراء» وهو فصل من كتاب «فيض الذِّكريات» وهو الأوسع المتعلِّق بحياتنا من بدايتها وأنا في أحور هذا فيض الذِّكريات..

(١) في الحديث عن النَّبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوباً، الإيمان يمان، الفقه يمان، الحكمة يمانية». «مسند أحمد»، (٧٧٢٣).

هو أشبه بالسِّيرة الذَّاتيَّة؟

نعم.. وبعد ذلك جزء منها في القسم الثَّاني منها الخروج من الدَّائرة الحمراء، ثم بعد ذلك واصلت هذه المسألة في إضافات أخرىٰ منها حلاوة التَّجربة المرَّة، ومنها كذلك بعد عودتنا مرةً أخرىٰ إلىٰ اليمن الاستثمار المفيد في العود إلىٰ اليمن السَّعيد وما إلىٰ ذلك ونشاط الأربطة ومتعلّقاتها، بل والأمالي جمع من الآمال التي كانت في ساعة الخروج مع الهمِّ والضيق، وكذلك المباني التي بنيت في ساعة العودة وعودتنا إلىٰ اليمن وما أجرىٰ الله فيها من الأسباب والتَّهيئة.

وجدت حتى بعض الباحثين هنا في اليمن مثل الأستاذ أكرم أحمد باشكيل كتب قريب المئة صفحة في النَّقد الأدبيِّ ومعالم الشَّخصيَّة التي تكوَّنت في روايتكم الخروج من الدَّائرة الحمراء.

وأكثر ما لفت انتباهي في صفحة ٢٤ في المشهد هناك جوار المسجد وأنت تنتظر السَّائق أو الذي أخذ النُّقود، وعلى أساس تتعقَّب وتسير وراءه ثم تكلَّم بعد ذلك أخاكم محمد انتظرني ربع ساعة إذا لم أرجع، ثم فجأة تقول خذ هذه ساعتي فلن أحتاج إليها؛ فالذين يرحلون بمثل هذه الصُّورة لا يحتاجون إلى عقارب السَّاعة.

بالطبع الـذي يذهب وهو لا يدري بيد مَن وإلىٰ أين وليس لديه إلا شيء يسمُّونه المغامرة.. هي نوع من أنواع المغامرة التي يرتفع فيها حرارة الجسم ويرتفع فيها دقَّات القلب وأنت لا تدري مـن هو هذا الرَّجل فأنا لا أعرفه، أعرفه بواسـطة فهو سـيحملني ويحمل آمالي وحياتي السَّـابقة ومسـتقبلها مع هذا الرَّجل الذي سـأذهب معه، فلذلك لا أحتاج للسَّـاعة بـل لا أحتاج إلىٰ ضبط الوقت.

الرِّحلة رسـمت صوراً غريبةً عجيبةً وتناقضات لم تكن فقط مجـرَّد رحلة من جنوب إلى شـمال أو رحلة مـن دائرة حمراء إلى خضـراء، يعنـي وأنتـم من خـروج إلى عـدن فوق أكياس السَّـمك برائحتـه والمشـهد في دخـول نجران مـع تلك الأسـمدة ورائحة السّـرجين، قلتم: خرجنا مـن عدن برائحة السَّـمك ودخلنا برائحة الأغنام إلى نجران.

كانت السَّـيَّارات بطريق التَّهيئة، والصُّدفة أنَّ السَّـيَّارة التي أخرجتنـا من هنا لأجل تمرّ في الطُّرقات حتىٰ تصل إلىٰ موقعها؛ لأنهـا لا تسـير في الطُّرق الرَّسـميَّة، تسـير فـي الطُّـرق الخلفيَّة المتشـعِّبة في الأودية وغيرها، فكانت خلال وجودنا في السَّيَّارة رائحة السَّـمك نفَّاذة مزعجـة، كذلك وقد وصفتهـا هذه بطريقة

معيَّنة، بعدها لما خرجنا من طريق تعز إلىٰ صنعاء إلىٰ صعداء وما فوق ذلك كانت السَّــيَّارة التي خرجنا فيها في الحدود هناك فعلاً علىٰ هذه الصِّفة؛ سـيَّارة ناقلة أغنام فكنا فيها ورائحة السّـرجين ما شــاء الله كانــت مرتفعةً جداً، فقارنًا بيــن المرحلتين حتىٰ الآن الوصــف في هذه المرحلــة لم يعد بتلك الحــرارة لأنه الآن تغير الحال سبحان الله المعاناة لها أثر حتىٰ في الكتابة.

حتى عشــنا معكم ليس فقط في الرَّوائح حتى في الأصوات، أوَّل ما ركبتم اللاندروفر هذه، وقلتم: وكأنها تعزف لحن جنائزيّ، كذلك عشــنا معكم مشــهد صوت ذلك الكلب الذي ينبح، وعشنا معكم كذلك الأصوات التي مرَّت أثناء هذه الرِّحلة.

كذلــك الصُّــور المتعدِّدة، رســمتم صورةً للبحــر الجميل، صــورةً للجبل للحقول بتنــوُّع اليمن وتضاريســها وجغرافيَّتها، كنا معكــم في لحظة وأنتم في ثياب الناس تنتقد هل هذا لباس مهاجر! ثــم بقطعة قماش واحدة وأنتم تتنقلون فــي الحقول حتى تتجاوزوا الحدود.

الحقيقــة أنَّ هــذه القصَّــة أو الرِّواية حملت مشـــاهد متنوِّعة ونقلتنــا في تداخلات وتباينــات ومفارقات غريبةٌ بيــن ذلك الدَّليل

الأحمق الشَّاب كما عبَّرتم عنه فقد كنتم تنادونه: «يا ولد» وبين تلك العجوز التي تريد أن تذهب إلى الحجِّ وكانت مرحة..

وثرثارة وإلىٰ ذلك.. بالطَّبع؛ الحقيقة لو ننظر في تلك المرحلة كنت أتمنىٰ حتىٰ علىٰ كثير من الأخوة الذين مرُّوا بنفس المعاناة أن يكتبوا؛ لأن الفترة تلك كانت الناس تخرج وتهاجر بطريقة أو بأخرىٰ وبطرق غير مسموح بها وفيها نوع من أنواع المغامرة.

ولست وحدي كان أخواني كذلك شخصين أو ثلاثة أو أربعة خرجوا بنفس الطَّريقة لكنهم لم يكتبوا، وإلا مرت عليهم ظروف صعبة ومحن شديدة في هذا الجانب وأناس آخرون ممن نعرفهم ونألفهم خرجوا إلىٰ جوانب معينة في شمال اليمن في تلك الفترة وتعرَّض بعضهم للقتل، فكانت هذه بحكم أنها عبارة عن وصف لمرحلة أو تاريخ مرحلة أو بمعنىٰ أدقّ تقرير عن حالة مرَّت بالوطن وبالبلد، فلهذا توسَّعنا في هذا الجانب، ثم تكلَّمنا في مسائل متعلقةً بشمال اليمن تعزّ والحديدة وطريقنا إلىٰ صعداء وما بعدها باعتبار أنَّ لها أسلوباً آخر وطريقة آخرىٰ؛ لأنه في تلك المرحلة كان الجنوب غير الشَّمال والشَّمال غير الجنوب وتجاوز الحدود كان يعتبر جريمة.

حتى اعتذرتم من القارئ أن التَّشطير المستخدم ليس مقصوداً وإنما هو لسان المرحلة.

وجدت لكم أبيات صدَّرتم بها التَّقرير الأوَّل قلتم:

جاوزْتُ الحقْدَ المتنامي

وتَركتُ مواخيرَ السَّكرى

جاوزْتُ سجونَ زبانيةٍ

مَنعوا الإحساسَ عن الإثرا

قَتلوا في النَّفس أمانيها

مسخوها مَسخاً لا يبْرا

رعبٌ يمتصُّ مواجيدي

ويُشيخُ الباءة والفِكرا

أطماحي كادَتْ تقتُلني

فحفرتُ لأطماحي قبرا

ودفنتُ بطاقةَ إمكاني

وشهرتُ بطاقتي الأُخرى

آمنتُ بأني مَوهوبٌ سلبوهُ

صِناعتهُ الكبرى

قَدمي تتحدَّى مَرتبتي

والعزمُ يُغالِبُ مضطرَّا

وأُداري نفسي عن نفسي

أتقوقعُ عمداً لا عُذْرا

كانتْ ساعاتي تسبغني

فأشيدُ سوابِغها جِسرا

كانت أوقاتي تمنحُني

وَهجاً ترفضُ لها العَذرا

وخليجُ الشَّوق يُسامرني

والبدر يُعاقرني خمرا

ومَدائنُ حُبي تصهرُني

فأصوغُ لها الكون شِعرا

عجباً قد صارت يا لهفي

أحلى الساعاتِ لنا ذكرى

فعلاً إلى الآن أحلى السَّاعات لنا ذكرى.

اليوم بعد أربع وثلاثين سنةً كيف تجدون الخروج من الدَّائرة الحمراء؟

العـودة إليها، وقد تحوّلت مـن حمراء إلىٰ غرّا، وإن كانت الظُّـروف التي نراها في حياتنا بطريقة أو بأخرىٰ كما يراها الناس لكـن في مجال ما نحن بصدده الحمـد لله الأمور إلىٰ خير ونأمل بـإذن الله أن تتهيَّأ أسـباب لما هـو أفضل وأفضـل ويزيل الله عن الأمَّة بعمومها؛ لأن المرحلة العامَّة في الوطن العربيّ والإسلاميّ المعاصـر هي مرحلة حرجـة، ولكن في مدلول فقـه التَّحوُّلات والتَّفاؤل الشَّرعيّ الذي جاء عن النَّبي ﷺ وبركة اليمن ومتعلّقاتها وما نراه في نشاطنا المتحرِّك لجيل قادم إن شاء الله نأمل أن يكون جيل السَّلامة أعتقد أنه عامل مساعد لأن يداوي تلك الجراح.

لا أحد يتوقَّع وأنتم في هجرة تلك الظروف ويقرأ الرِّواية بين حيـاة وموت أن يرجـع الحبيب أبو بكر ويكوِّن الأربطة الإسـلاميَّة وأن يكون فيها ثلاثون ألف طالب..

كلنا كذلك ما كنا متوقِّعين.

وترتقـوا إلـى أعلـى منابرهـا، واليـوم كلمتكـم مسـموعة وشفاعتكم موجودة.

الحمد لله، نسـأل الله أن يجعـل ذلك خير للبلد ولنا ولطلاب العلم بل ولبلاد المسلمين أجمعين.

وإن شاء الله يكون فرج للأمَّة في القادم..

بلا شـك دائماً المسـلم من مهمَّاته أن ينتظر الفرج ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرح: ٦]، وهـي حكمة ربما لا تفسَّـر إلا إذا عرفها أهلها؛ لأن التَّفسـير فيما يدور في الكون ليس مربوطاً بالحوادث نرجع مرةً أخرىٰ لكنه مربوط بالنُّصوص.

بشَّركم الله بالخير وهذه هي بشائر البيارق.. والحمد لله ربِّ العالمين.



بيارق الشِّعر
المعاناة والتَّفاعل

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«إنَّ من الشِّعر حكماً، ومن البيان سحراً»[1]، يجد المتابع لإنتاجاتكم وإصداراتكم ومسيرتكم الحافلة ما شاء الله بالعطاء أنواعاً من الشِّعر، ويلحظ الغزارة في الإنتاج وكأن هذا الشِّعر يتنوَّع بين الشِّعر الحَكمي المعروف المتداول الفصيح، وبين الشِّعر الحُمينيِّ أو المسمَّى بالنَّبطيِّ أو القريب من المناسبات ولغة الناس وطبيعتهم في الدَّارج العاميِّ. وكذلك هنالك شعر كنت أنا أظنُّ إلى فترة قريبة أنه هو الذي تميَّز به السيّاب ونازك الملائكة حتى وقفت على دراسات أنه في مدرسة حضرموت في ثلاثينيَّات القرن الماضي، كان الأستاذ علي باكثير وهو يشتغل في روميو وجولييت

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، (٥١٤٦)، و«مسند أحمد»، (٢٤٢٤).

وفي عدد من المسرحيَّات المعروفة حوَّلها إلى نوع من الشِّعر الحرِّ باللُّغة العربيَّة.

وجاء من بعد هذا الحبيب حسن بن عبد الرَّحمن بن عبيد الله السَّقَّاف وأنا أتفاجأ كأن بيرق الشِّعر الحرِّ أو شعر التَّفعيلة ولد في مدرسة حضرموت وولد في اليمن ولكم في هذا جهود كبيرة: ديوان بكاء القلم، الوشاح الأحمر، حلاوة التَّجربة المرَّة.

فكيف يجد الحبيب أبو بكر نفسه في هذه الغزارة مع هذه السَّنوات في القريحة الشِّعريَّة؟

القريحة الشِّعريَّة على ما ذكرتم هي كما قلنا فيما سبق من الكتابة النَّصيَّة أو الكتابة النَّثريَّة جزء منها معاناة وجزء منها زيادة قراءة ومتابعات، بالطبع نحن في بداية دراستنا المتعلِّقة بالجانب اللُّغويِّ كان الوالد والمعلمون يهتمُّون كثيراً بجانب اللُّغة وخاصَّةً في مسألة الثَّراء اللَّفظيِّ والعبارات إلى حدٍّ أني أذكر كان الوالد يلزمنا باستخلاص كلمات عربيَّة ماتت لم تعد تستخدم ونستخلصها من كتب الأدب العربيِّ القديم ونصوغها في جمل أو في عبارات.. ثم بعد ذلك تطوَّر الحال بأن صغناها في أبيات شعر، مثلاً أذكر أنه كان يسألني ما هو الأثرمان؟ فأنا ما

فهمت، قال لي: ابحث في كتب اللُّغة، فإذا بي أجد أنَّ الأثرمان هو اللَّيل والنَّهار فكتبتها وصغتها: قسىٰ الأثرمان وما حيلتي إن قسىٰ الأثرمان.

وعملت عليها سبع أبيات، فكنا ندخل الألفاظ العربيَّة، فكان هذا عاملاً مساعداً علىٰ إيجاد شبه ثروة لغويَّة تساعد الإنسان علىٰ وضع هذا الشَّأن.

الشَّيء الثَّاني القراءة المتعلِّقة بالشِّعر. نحن دائماً في مدرسة حضرموت الأشعار والإنشاد ومتعلّقاتها تكاد أن تكون كثيرةً في حياتنا الأسبوعيَّة والشَّهريَّة واليوميَّة فهذا يجعل الإنسان كثير الاطلاع علىٰ كثير من نماذج القصائد.

حضورنا في المناسبات،كذلك زواجات الناس ومتعلّقاتها نموذج آخر من الشِّعر الحمينيِّ أو غيره، حضور مجالس الأدباء. أذكر مجالس كثيرةً حضرناها لعلماء ولأدباء يتبادلون الشِّعر ويتحدَّثون عنه وينقلون أشعار غيرهم أو أشعارهم، بالطَّبع هذه كلُّها أنضجت المسألة المتعلِّقة بالشِّعر ونماذجه.

أما شعر التَّفعيلة فبدأت به منذ أن بدأت في التَّدريس؛ لأن التَّدريس كان عاملاً مساعداً علىٰ الاحتكاك بنماذج معيَّنة

من الشَّــباب الذين يرغبون في الشِّــعر الحديث، واســتمعت إلىٰ نــازك الملائكة وإلىٰ كثير من الشُّــعراء الذين يتكلَّمون بهذه اللُّغة فاستهواني الأمر لسببين:

السَّبب الأوَّل: أنّ تركيبتها سهلة.

والأمر الثَّاني: باعتبار أنها موسيقىٰ داخلية تحكمها وليست يحكمهــا قواعد الشــعر، فبدأت أكتب في هــذا الجانب بدايات كانت بســيطةً ثم بعد ذلك مع الاســتمرار ولله الحمد تحسَّــنت فصارت عندي جزءاً من الثَّروة الشِّــعريَّة فيما يتعلَّق بشــأن شــعر التَّفعيلــة المســمَّىٰ، وهو يكاد يكون معبِّراً عــن كثير من الظُّروف والأحوال التي مرَّت بنا في حياتنا الخاصَّة والعامَّة سواءً كانت في عدن واليمن أو لما انتقلنا إلىٰ المملكة العربيَّة السُّــعوديَّة فغالب التَّنفُّســات التي تنبني علىٰ معاناة أو علىٰ وجدان له خصوصيَّات يكون بشعر التَّفعيلة.

فــي ديوان «حــلاوة التَّجربــة المــرَّة» اســتوقفتني أبيات لكم جــاءت فــي ربيــع أول ١٤٢٣هــ ـ نتكلَّــم عن أكثر من ١٢ ســنةً من الآن ـ وكأنه في تلك المرحلة كان معكم أعمال ومؤسَّسات ولكن كــان في مشكلة في التَّمويل فتقولون فيها:

أنا مستمرٌّ..

وفي الدَّرب أعدو

عسى أنتصر

ويُشغلني الواقع المنحدر

وترتيبُ وعي الزَّمان الأشِر

وأمرٌ قُدِر

أنا مستمرٌّ

ورغم الرَّذاذ الذي ينهمر

وما في الطَّريق وما يستحِر

من الخوف والقلقِ المستعرِّ

وإعتامُ إظلامِهِ المُعتكر

وصوتُ الثَّعالب خلف النَّمر

أنا مستمرٌّ

سأُنفِقُ أنفاس عُمرٍ نضِر

وذاتي وذرَّات فكري الضّمِر

وما في يدي وذكائي الحَذر

عسى انتصر

وبالطَّبع.. والطبعُ لا ينحصر

أنا مستمرٌّ

أخاطِبُ عصري وأبناء عمري ومن يدَّكر

بحرفٍ من الصِّدقِ لا ينقهِر

وبالعزم صُمُّ الصّفا ينصهر

وأصعب شيءٍ على المصلحين

معالجة الفاشِلِ المنتحر

بدأتُ وئيداً محلّك سِر

وأخطو رويداً بقفر وعر

ومخترقٌ ظلمة الكائنات

بخيط من الأمل المنشطِر

وفي ظلمة العمر بان الضِّياء

وفيه الزَّنابق لا تستقرُّ

وماءٌ ووحلٌ ولامٌ وياء

وضفدعة صوتها مستعرٌ

فناديتها هل يتمُّ السُّكون؟

فقالت: إذا الماء غار فَغِر

وولَّت لتلتهمَ الحشرات

وتقفز قفزةَ من يفتخر

قضى الله فيما قضى أن تموت

على نظري وأنا منتظر

صمتُّ كما صمتت فجأة

وكانت جُشأةِ فاهٍ فَغِر

وفي دربنا من دروس الحياة

كثيرٌ وأنَّى لها تنحصر

ومنفقها الأمر فيما يراد

سرى في الطَّريق ولم يندحر

عجيب عجيب.. الحقيقة الآن قد نسيت هذه الأبيات لكن أنت الآن أعدت لنا ذكرياتي لما عدتَّ للدِّيوان، وهذه واحدة من الأمــور التي يتخيَّلها الإنســان أو تجري في ســاعة المعاناة لأمر

معين وكما ذكرتم ظروف كان فيها شـيء من الصُّعوبة عبَّرنا عنها بهذا الأمر..

متى يكون رجوع الحبيب أبو بكر إلى دواوينه؟

الحقيقة في الوقت الذي أنا أعيشه أحياناً عندما يطلب مني أن أقول مثـلاً قصائد معيَّنة، أو يكون لقاء مع الشَّـباب في بعض الأحـوال أو عندما تعرض علي القصائد لأجـل تصحيحها غالباً قـد أعود إلىٰ قصائدي أو كمثل الآن لما عدت من جدة إلىٰ عدن رجعت إلىٰ كثير من الكتب القديمة التي قد مرَّ عليها سنوات وأنا أهملتها حاولت أن ألممها وأجمعها وهكذا.

وهل هذه المحطَّات الشِّـعريَّة فـي حياتكم تعدُّونها نوعاً من التَّأريخ الذي كلَّ فترة ممكن أن تشتقُّوا منه دروس أو معالجات أو كتابات معيَّنة؟

نعم أعتبرها مسـيرة عمر؛ بمعنـىٰ أنها تبيِّن أوَّل نموذج من نماذج نضج المعاناة وفي ذات الوقت حسـن التَّعبير عنها ويكاد أن يكون ـ باعتبـاري أنـا ـ الشِّـعر والنَّثر هي لغـة الزَّمان أي كلُّ زمـان له لغـة. لو الآن طولبت أن أكتب قصيـدة مثل هذه ربما لا أستطيع لأنها تولد في ذلك الوقت وفي حينها ولها مميِّزاتها ولها

نفسها الخاص بل وحتىٰ لها نكهتها التي لا يمكن أن تتكرَّر وهذا ملاحظ في كثير من الأشعار خاصَّةً شعر التَّفعيلة.

لاحظت مثلاً في بعض القصائد أبعد في الزَّمن من القصيدة التي قرأناها من قبل، هنا يوجد قصيدة بين يدي في عام١٩٧٣م بعنوان (البئر القديمة). قلتم فيها:

قلاني الناس لما جار بي زمني
واستُبدل الدَّلو بالأنبوب والمكَنِ

وحيدة نسي الإنسان مكرمتي
فظلَّ يثلبني في السِّرِّ والعلن

أما ذكرت عديم الفِكر منزلتي
ووطء ظهري إذا ما شئت أن ترني

خجولة من حيائي عشت مُخفرة
بعيدة الغور لم تلمس يد بدني

هل هي القصيدة مُعبّرة أم رموز لأشياء معيَّنة؟

(واستُبدل الدَّلو بالأنبوب والمكَنِ) هذه إشارة إلىٰ الآبار القديمة تتكلَّم عن نفسها أمام المضخَّات الحديثة، هي أشبه ما

يكون بالمقابلة كيف تشكو البئر القديمة حالها من هذا الشَّيء الجديد الذي حصل.

وهذه القصيدة هي في الأصل معبِّرة عن مدرستين؛ مدرسة العمق عند السَّلف الصَّالح ومدرسة روائح الدُّخان ومظاهر الإعلام في الحياة المعاصرة.

عجيب.. وأكملتم بقولكم:

أُعطيك مِن كبدي ماء الحياة ندىً
لا يَعتريه دخان جاء بالوَهن

في كل قَفرٍ جديد حيث لا وطنٌ
أنا الذي أُنقذ العطشى من الحَزَن

لا تهزأنَّ بشكلي ما اكتفيت مدىً
فرُبَّ يوم تَراني قمت من وَسَن

لا تنسينَّ جميلاً كُنت أبذله
من دمع عيني زلالاً ليس ذا أَسَن

لا لا يَغرّك بئر نالها شَرفٌ
بالعلم والتكنولوج الحادث الفتن

كأنكم تتكلَّمون عن مرحلة؟

عن الحضارة وسـلبيَّاتها بالطبع، مـاذا حصلت؟ إنها إقامة حياة لكن مقابل ضياع شـيء آخر أما لو اجتمعت المسألتان كما ذكرنا في بعض الحلقات فهذا هو المزج الإيجابيُّ المطلوب.

لا شـكَّ أنَّ الإبحار في هـذه الدَّواوين وفي هـذه القصائد له عمقه ومـداه، لكن في جهة أخرى نجـد الآن لكم منظومات كاملةً تحفـل بها المكتبة الإسـلاميَّة تغطِّي الوقائع والمناسـبات، تبدأ مع غـرَّة ومطلع محرَّم وحادثة ذكرى الهجـرة حتى ختم العام وتوديعه مروراً بالمولد النَّبويِّ الشَّريف، الإسراء والمعراج، ليلة النِّصف من شعبان، اسـتقبال رمضان، ليلة بدر، كذلك وجدت لكم منظومات وما أدري هل يغلب على شـيء من المنظومات اسـتهداف النِّسـاء أم الرَّجـال؟ كتغطيـة مثـلاً: حيـاة السَّـيِّدة الصِّدِّيقـة عائشـة، حيـاة السَّـيِّدة الزَّهـراء، حياة السَّـيِّدة خديجة، بمنظومـات مطوَّلة قاربت أن تكـون الحيـاة مـن أوَّل الولادة إلـى الوفاة، ما الباعـث كان على هذه المنظومات، واليـوم بعد الكتابة وحتى في مجالس عقدتموها أنشدت فيها، أين ترون الأمر قد وصل؟

هذا هو فرع من فروع قسـم التَّطبيقات في فقه التَّحوُّلات.. الملاحـظ أن فقه التَّحوُّلات كشـف لنـا أهميَّة المناسـبة وتكاد تكـون الأمَّة في هذه المرحلة قد أغمضت عينها عن المناسـبات واشتغلت بمناسبات أخرىٰ فرضتها الظُّروف والوقائع علىٰ سبيل

المثـال: عيد الأم، عيد العمَّـال، أعياد معيَّنـة للأنظمة إلىٰ ذلك، وظهر جيل لم يعد يدرك شـيئاً اسـمه مناسـبة حتىٰ صـار المرء يأتي محرَّم وهو لا يعرف ما هو المحرَّم من حيث مناسـبته يأخذه بالتَّاريخ الإفرنجيِّ إلىٰ غير ذلك.

وحصل نوع من أنواع المسـخ للمناسـبة، ومسخ المناسبة يساعد علىٰ مسخ نموذج من العلم الخاصِّ بها، فبدأنا نعيد النَّظر وخاصَّـةً أنَّ عندنا جملة من طلَّاب العلم الموجودين في الأربطة يحتاجون إلىٰ إعادة التَّرشـيد لهذه المسألة فكانت الفكرة أن نبدأ بشـيء من هذا القبيل، فبدأنا بوضع المنظومات المتعلِّقة بالسَّيِّدة خديجة والسَّـيِّدة فاطمة عليها السَّـلام وغيرها وحتىٰ الصَّحابة، وكذلك للمناسبات الإسـلاميَّة علىٰ اعتبار أنَّ الطلَّاب يجتمعون فنقرؤها معهم كعامل مسـاعد لحفظ الوقت، حتىٰ عندنا منظومة سـمَّيناها «قارورة الزَّواج في ذمِّ العزوبة وفضـل الزَّواج» نقرأها فـي الخطبة عندما تبدأ خطبة الزَّواج ندعهم يقرؤونها، لأنَّ غالب ما يجلسـون تجد الناس يتكلَّمون في أمور الحياة ومشاكلها فلما تجمعهـم لهذا الاسـتماع أنـت توجههم عن طريق الشِّـعر وعن طريق حسـن الصَّوت إلىٰ ما يسـمعهم فائدة المناسـبة الخطوبة مناسبة الزَّواج وهكذا.

السَّنة كلها مناسبات شرعيَّة أو قياسيَّة، إما أن تكون شرعيَّة كالأعياد كمنظومة عيد الفطر وعيد الأضحى، أو أن تكون للمناسبات القياسيَّة لأجل يعرفها الناس ويتعود عليها عوام الأمَّة في المجامع والمجالس ليعرفوا قيمة المناسبة وأثرها، أو كذلك الذَّوات كما ذكرنا مناسبة أمهات المؤمنين ذكرنا بعضهم، أيضاً الآن فرغنا من منظومات جديدة لم تخرج حتى الآن وهي منظومة للأصحاب الخمسة سيِّدنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن خلافة والحسين كذلك له منظومة خاصَّة به، الإمام علي زين العابدين، عمر بن عبد العزيز له منظومة خاصَّة به، معاذ بن جبل بحكم علاقته باليمن، ونحن نجتمع في الجَنَد كمناسبة فعملنا منظومة لأجل تقرأ في المسجد لعموم الناس، ثم عملنا منظومةً أخيرةً لعبد الحميد الثَّاني باعتبار أنه آخر رمز لبيت القرار وفرغنا منها إن شاء الله وبإذن الله ستخرج كلُّ هذه المنظومات كمعبِّرة لجيل المدرسة أو ما نسميه جيل السَّلامة يقرأ عن طريق هذا الطَّرح وضمن هذه الأفكار ليس فقط السَّرد التاريخيُّ بل ربطنا بين الجانب المتعلِّق بالتَّاريخ وبين الدِّيانة، وفسَّرنا كثيراً من الحوادث وكثيراً من الوقائع وكثيراً من الإشكالات التي دارت في حياة الصَّحابة وفي حياة المسلمين عن طريق تطبيقات فقه التَّحوُّلات بالشِّعر التَّعليميِّ المتعلِّق بهذه المنظومات.



بيارق الرَّسم
الأوقات والدَّلالات

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مـع بيارق النُّبـوَّة والأبوَّة رحلة نكتشـف فيهـا ذواتنا ونعيش فيها معنى خلافتنا عن الله وتتَّصل الأسـانيد وتكون المقاليد لمعنى الخلافة في الأرض والسَّماء.

ولعلَّ هـذه الحلقة لها خصوصيَّة أنها هي الحلقة التي كانت بركة البرنامج كله. أذكر سـيِّدي قبل سـنتين لما تشـرَّفت بزيارتكم فـي جدة وفي بيتكـم، وكان هناك تجربة إعلاميَّـة كانت في برنامج المرصد النَّبويِّ، ثم اسـتودعت منكم وجلسنا في المكتب، فكنت أرقـب لوحـة من وراءكم في الفنِّ التَّشـكيليِّ، وأنا أخذت أسـرح بخاطـري أنَّ الحبيب أبو بكـر يرتـاد ما شـاء الله معـارض الفنون التَّشكيليَّة..فاستهوته هذه.. واشترى هذه اللُّوحة.

فلما خرجت أسأل أحد الإخوان في مكتبكم قلت له: هذه من أين الحبيب اشتراها؟ متى يزور المعارض؟ هل له اهتمام بالفن؟ فقال لي: هذه لوحة رسمها الحبيب أبو بكر بيده فتملَّكتني صدمة!! خصوصاً أني توقُّعت مع الحلقات والقراءة والمتابعة هذا الموضوع من أين خرج، ثم بعد ذلك سبحان الله وقعت في يدي مجلة تصدر عن الموجه العام لأربطة التَّربية الإسلاميَّة بعنوان الخويصة ووجدت لكم لوحة زيتيَّة فيها بعنوان: (خطوط الوعي الباطن بين ما كان وما هو كائن).

فلما زرتكم هنا في عدن وتشرفت بلقائكم كلمتكم عن اللوحة ولماذا لا نعمل برنامج يتناول بعض الجوانب.. وإذا بالموضوع أوسع وأوسع وأحضرتم الدَّفتر المبارك في أكثر من مئة لوحة ويمكن بعضها نقف عليه في هذه الحلقة نتكلَّم عنها.

ابتداءً أريد أن أسأل ما هي حكايتكم مع الرَّسم من أين بدأت الرِّحلة مع الرَّسم؟

هي نموذج من نماذج التَّعبير، وتدخل تحت مفهوم الرَّمز. وبالطبع مع بداية حياتنا التَّعليميَّة تحت دائرة آبائنا كان الرَّسم الواضح للحيوان للأشياء المعروفة فيه حرج لأي إنسان يرغب

في أن يرسم، ومن خلال المتابعة والقراءة وما إلىٰ ذلك.. وكذلك التَّعليم لأن التَّدريــس كان يلزمنا أحياناً أن نضع بعض الخطوط المعيَّنة والرُّســوم للإيضاح للطلاب كوسـائل فبـدأت أضع مثل هذه التَّرتيبات منذ بداية المرحلة الأولىٰ في تدريسي لمادَة العلوم وغيرها من المواد التي تتطلَّب وجود وسائل إيضاح.

كانــت هذه البداية ثم بعـد ذلك تطـوَّرت هـذه إلىٰ إيجاد رسومات معيَّنة ذات اعتبار متعلِّق بالطَّبيعة التي نعيشها مثل البحر، الأسماك، الشَّجر، الأشياء التي نألفها لكن دائماً اصطدم حتىٰ لما كان الوالد يرىٰ الرُّسوم كان يقول لي: تجنَّب ما فيه روح.

فلأنها وسـيلة تعبير ـ كما أعتقدها ـ بل وسيلة تنفُّس ومن الوسـائل التي هيَّأها الله كسبب؛ فالشعر والنثر والخطابة جميعها وسيلة من أسـاليب التعليم، إذن الرَّسم باعتباره أنه جزء من حياة الإنسان الذي يمنُّ الله عليه بشيء من المواهب يكون أيضاً وسيلة.

فبـدأت أضع خطوطـاً معيَّنـة أحياناً حتىٰ علـىٰ غير وعي كمـا هذه..مجرَّد عبارة عـن حالة معيَّنة تعتريـني، وأحياناً أتكلَّم فـي التَّلفون وأخطِّط، أحياناً واحد يخاطبنا وأرســم، أحياناً حتىٰ الإمضــاء الــذي أكتبه قد يتكـرَّر أكثر من مرَّة فأجده صنع شــكل

فلما خرجت أسـأل أحد الإخوان فـي مكتبكم قلت له: هذه مـن أيـن الحبيب اشـتراها؟ متـى يزور المعـارض؟ هل لـه اهتمام بالفن؟ فقال لي: هذه لوحة رسـمها الحبيب أبو بكر بيده فتملَّكتني صدمـة!! خصوصاً أنـي توقَّعت مـع الحلقات والقـراءة والمتابعة هـذا الموضـوع من أين خـرج، ثم بعد ذلك سـبحان الله وقعت في يدي مجلة تصدر عن الموجه العام لأربطة التَّربية الإسلاميَّة بعنوان الخويصـة ووجدت لكـم لوحة زيتيَّة فيها بعنـوان: (خطوط الوعي الباطن بين ما كان وما هو كائن).

فلمـا زرتكـم هنا في عـدن وتشـرفت بلقائكـم كلمتكم عن اللوحـة ولمـاذا لا نعمـل برنامـج يتنـاول بعـض الجوانـب.. وإذا بالموضوع أوسـع وأوسـع وأحضرتم الدَّفتر المبـارك في أكثر من مئة لوحة ويمكن بعضها نقف عليه في هذه الحلقة نتكلَّم عنها.

ابتداءً أريد أن أسأل ما هي حكايتكم مع الرَّسم من أين بدأت الرِّحلة مع الرَّسم؟

هي نموذج من نماذج التَّعبير، وتدخل تحت مفهوم الرَّمز. وبالطبـع مع بداية حياتنـا التَّعليميَّة تحت دائرة آبائنا كان الرَّسـم الواضح للحيوان للأشـياء المعروفة فيه حرج لأي إنسان يرغب

في أن يرسم، ومن خلال المتابعة والقراءة وما إلىٰ ذلك.. وكذلك التَّعليم لأن التَّدريس كان يلزمنا أحياناً أن نضع بعض الخطوط المعيَّنة والرُّسوم للإيضاح للطلاب كوسائل فبدأت أضع مثل هذه التَّرتيبات منذ بداية المرحلة الأولىٰ في تدريسي لمادَة العلوم وغيرها من المواد التي تتطلَّب وجود وسائل إيضاح.

كانت هذه البداية ثم بعد ذلك تطوَّرت هذه إلىٰ إيجاد رسومات معيَّنة ذات اعتبار متعلِّق بالطَّبيعة التي نعيشها مثل البحر، الأسماك، الشَّجر، الأشياء التي نألفها لكن دائماً اصطدم حتىٰ لما كان الوالد يرىٰ الرُّسوم كان يقول لي: تجنَّب ما فيه روح.

فلأنها وسيلة تعبير ـ كما أعتقدها ـ بل وسيلة تنفُّس ومن الوسائل التي هيَّأها الله كسبب؛ فالشعر والنثر والخطابة جميعها وسيلة من أساليب التعليم، إذن الرَّسم باعتباره أنه جزء من حياة الإنسان الذي يمنُّ الله عليه بشيء من المواهب يكون أيضاً وسيلة.

فبدأت أضع خطوطاً معيَّنة أحياناً حتىٰ علىٰ غير وعي كما هذه..مجرَّد عبارة عن حالة معيَّنة تعتريني، وأحياناً أتكلَّم في التَّلفون وأخطِّط، أحياناً واحد يخاطبنا وأرسم، أحياناً حتىٰ الإمضاء الذي أكتبه قد يتكرَّر أكثر من مرَّة فأجده صنع شكل

فأكمله وأعمل عليه دائرة وهكذا.. حتىٰ إنَّ بعض اللَّوحات كانت لواحد من أولادي كان دائماً يأخذ أوراقي ويخطِّط فيها فعملت لها دوائر وإذا بها كانت لوحةً لطيفةً.

فجاءت فكرة الرَّمز من خلال الخطوط المتداخلة أو الألوان المتنوِّعة، وبدأت أضع هذه اللَّوحات علىٰ مدىٰ زمني طويل منذ أن كنت في أحور منها إلىٰ عدن كذلك ثم لما سافرت إلىٰ المملكة.

السَّبب أقرب ما يكون هذا في ترتيب أوقاتنا أنَّ ليس عندنا وقت لأجل مثل هذا؛ لأن هذا قد يراه البعض شبه العبث أو ربما لا يليق بإنسان في منهج الدَّعوة وفي منهج التَّعليم لكن لأنه لغة تعبير فبعض اللَّوحات وضعت لها مسمَّيات لأجل تكون حاوية للحظة التي رسمت فيها.

وقد تأخذ بعض اللوحات يوماً وقد تأخذ أقلّ، وقد أكتبها علىٰ مدىٰ أسبوع كلَّ مرَّة أضع شيئاً فيها فتكتمل فأضع لها اسماً غالباً علىٰ هذه الصِّفة.

كثير من الناس ربما الآن يتفاجأ مثل تفاجئي فيرى ملمحاً آخراً أنَّ هنالك حسّاً مرهفاً، أنَّ هنالك أفقاً متَّسعاً، أنَّ هنالك بحراً

تكاد تتباعد شواطئه؛ لأن هذه اللوحات يعيشها الإنسان أكثر من أن يتكلَّفها.

أنا أجد في القرآن لوحات، السُّنة ترسم لوحات، إذن لم ترسمها ككتابة فأنت تتصوَّرها بل حتىٰ لما تأتي إلىٰ حديث البخاريِّ[1] والحبيب ﷺ يرسم خطوط الأمل والأجل تعرف تماماً أنَّ هناك وسيلة تعبير.

أنتم استخرجتم سيِّدي من هذه الخطوط علماً؟

نعم من هذه الخطوط عندما أردت أن أُأصِّل الفكرة. ربما تكون في البداية هي مجرَّد.. حتىٰ في بعض اللَّوحات نسمِّيها العبثيَّة يعني هي عبارة عن حالة ضيق أو همٍّ معيَّن تضع فيها أيَّ شيء فما خرج كان هو، وبعضها تكاد الصُّورة ترتسم في الذِّهن لأمر معين أحياناً تكون انفعاليَّة وأحياناً تكون وجدانيَّة نفس

---

(١) عن عبد الله رضي الله عنه، قال: خطَّ النَّبي ﷺ خطاً مربعاً، وخطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه، وخطَّ خططاً صغاراً إلىٰ هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به ـ أو: قد أحاط به ـ وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا». «صحيح البخاري»، باب في الأمل وطوله (٦٤١٧).

الأسلوب الشِّعريِّ أنا آراه أنَّ الرَّسم يؤدي دوراً معيناً على حسب الموهبة التي يعطيها الله تعالى للإنسان.

سمعت أثناء رحلتكم العلاجيَّة المباركة ـ والحمد لله على عافيتكم ـ في فرنسا أهديتم الطَّبيب المعالج لوحة.

رسمتها له في فرنسا في الفندق الذي كنا فيه، فلما جاء يزورني في الفندق أهديت له اللَّوحة، خاصَّةً أني سجلت عليها التَّاريخ وأُعجب بها كثيراً، كذلك الدُّكتور الثَّاني الذي من تحته اسمه الدُّكتور إبراهيم من سوريا كذلك أعطيته لوحةً رسمتها في نفس الرَّحلة ثم لاحظوا هم كذلك بعض الرُّسومات الموجودة في الخويصة وطلبوها فجلسنا فترةً نتحدَّث حول هذه المسائل حتى انتقلنا من الحديث عن اللَّوحات إلى مسائل الشِّعارات الإسلاميَّة وما يوجد في أوروبا عندهم من شعارات وما يقابلها من شعارات في الإسلام وكان لها وقع عجيب عليهم.

إذا توقَّفنا مع بعض اللَّوحات خصوصاً لوحة (خطوط النَّفس) يعني سبحان الله أوَّل النَّظر وجدت أنَّ النَّفس التي حفظناها في كتب السُّلوك وفي علم الإحسان لها سبع مراتب: الأمَّارة واللَّوَّامة والملهمة والمطمئنَّة والرَّاضية والمرضية

والكاملــة المذكـورة في القرآن وفي السُّــنة، لكن هنا في تقســيم المســافات بين النُّفوس وجدت برسمكم عشــر مساحات للنَّفس هل هكذا أردتموها؟

هذه تشير ليســـت إلىٰ مراحل النَّفس في الحياة، تشير إلىٰ مـراحل النَّفس فــي عالم الأزل ومـراحل النَّفس في عالم الأجل والأمل ومراحل النَّفس فــي عالم الأمد ومراحل النَّفس في عالم الأبد يعني كرمز.

عالم الأزل يعني قبل الحياة الدُّنيويَّة؟

قبــل الحيــاة الدُّنيويَّــة ما يقــدِّره الله في الوجــود وتلاحظ الإشــارات الصَّفراء هي عبارة عن بقع عامَّة تشير إلىٰ هذا المعنىٰ ثم الزَّرقاء ثم ما بعدها وهكذا وهكذا.. بالطبع المســألة التَّحليليَّة التَّفصيليَّة تحتاج إلىٰ وقت لكن هذه بعمومها.

الألوان المســتخدمة عـادةً فـي اللَّوحات.. يعنـي أوَّل الأمر كنتــم تكتبون بالطَّبشــورة علـى اللَّوح للأولاد في المدرســة ثم بعد ذلك لوحات زيتيَّة.

أولاً الأقــلام ملوَّنــة وما إلىٰ ذلــك، ثم بدأنا في اللَّوحــات الزَّيتيَّــة ثم خلط الألوان في بعض الأشــياء ثم بعد ذلك في الفترة

التي كنت مشغولاً فيها لم يعد مجرَّد هواية خاصَّة فأيَّ أقلام معيَّنة من التي آخُذها من الأسواق فأول شيء أرسم بها وأحدِّد بها الفكرة وبالطبع الألوان عندي فيها انتقاء معيَّن حتىٰ تجتمع فيها الفكرة المطلوبة.

الواضح مثلاً في اللَّوحة هذه بعض المناطق مظلَّلة بالكامل وبعضها فيها فراغات وبقع وبعضها فيها اعوجاجات وبعضها القلم وكأنه جاء في جهة معاكسة وهكذا.

لما نفتح المجال الذي نسمِّيه المجال الأفقيُّ في هذه المسألة أو المجال الرأسيّ في الرَّسمة سنجد بعد ذلك أبعاد مرتبطة أولاً بالنَّفس ذاتها التي ترسم وهذه مسألة تكاد أن تكون وكما يقولون في الشِّعر: «المعنىٰ في بطن الشَّاعر»، فيكون المعنىٰ في بطن الرَّسام أو في بطن صاحب اللَّوحة تلك الحالة.. لما تسألني عنها في ساعة وقوعها معنىٰ ذلك أني مررت بأكثر من فكرة تكوَّنت في الذِّهن لأمر ما فما استطعت أن أعبِّر عنه بشعر؛ لأن الحالة التي عندي لم تقبل أو ما عبَّرت عنه بنثر كمقالة مع أنَّ كثيراً من الأشياء أعبِّر عنها بالمقالات فأعبَّر عنها بهذه الحالة.

وإذا رسمتم لأحد مثلاً مثل ما رسمتم للدُّكتور؟

أخـذت نموذجاً من نمـاذج الطَّبيعة الموجودة في فرنسـا بلدهـم حتىٰ كان يقول لي لما اطَّلع علىٰ بعض اللَّوحات عجيب أنـك تأثرت بالجـوِّ المحيط، قلـت له: لأن هذه طبيعة الإنسـان التَّأقلـم في المكان الذي يعيش فيه أو يأتي إليه، وهذا نموذج من النَّماذج التي ترتاح إليها أنفسكم أكثر ما ترتاح إليها نفسي.

وأكيد لكم فيها نوع خطاب يقصد به وبذاته؟

بالطبع لأنهم يعرفونني رجل دعوة وعرف الدُّكتور تفاصيل حياتي بعمومها؛ لأنه طلب مني أن أشرح ما الذي أفعله وما الذي أعملـه من أنا فـي الواقع قبل أن يعالجني وكان هذا من الأشـياء العجيبة التي رأيتها في أسـلوب علاجهم فعرف مرتبتي ومكانتي وموقعـي العلميِّ ومـا إلىٰ ذلك فكان يخاطبني دائمـاً بهذه اللُّغة لغـة الاحترام للعلـم وللدَّعوة وإلىٰ ذلك.. فأحببـت أن يفهم أن المدرسـة الفرنسـيَّة أو الأوروبيَّة المتكلِّمة عن الفنِّ التَّشكيليِّ أو التَّجريـد أو ما شـاكلها أنه يقابلها في الإسـلام رؤيـا وإن كانت خاصَّـة لكن هذه تمثل شـبه مدرسـة معينة وبالطبـع ترتبط بفقه التَّحوُّلات يعني ترتبط بالرَّمز.

أنتم سيِّدي جزء من شخصيَّتكم المفكر وكذلك هنالك المربِّي، هل تسلِّكون وتربُّون بعض تلاميذكم بمثل هذه اللوحات؟

نعم لأن هذا جزء من الذَّوق، والتَّربية ذوق، وكان النَّبي ﷺ يحبُّ الخضرة ويحب الأماكن الجيِّدة وبئر حاء[1] التي كان النَّبي ﷺ يجلس فيها كان يميل إلىٰ أن يخرج إلىٰ شيء من ذلك علىٰ الواقع، فعندما تجسَّد هذا للمريد فيعرف أنَّ لك ذوقاً معيناً سواءً في الألوان أو في خلطها أو في وضعها أو في رسمها أو في اختيارها أو الأشكال نفسها أنت تجسِّد مدرسة، فإذا رأىٰ المريد أسلوب الرَّسم الذي يبتعد عن المحرَّم أو عن المشتبه فيه يعرف أنَّ هناك مدرسةً ذات قيمة اعتباريَّة لها أصولها وأسس فيبني في هذه الحالة الفنَّ الذي يريد أن يضع علىٰ هذا الأساس.

الله يصفِّي لنا الموارد ويوسِّع لنا المشاهد.. والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) بئر في المدينة المنورة، عن أنس، قال: لما نزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال أبو طلحة: يا رسول الله إن ربنا يسألنا من أموالنا وإني أشهدك أني قد جعلت أرضي بئر حاء لله، فقال رسول الله ﷺ: «اجعلها في قرابتك»، فقسمها بين حسان بن ثابت، وأبي بن كعب. «سنن الدارقطني»، (٤٤٢٤).

بيارق الشِّعارات
الوسم والرَّسم

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّد ويتجدَّد اللِّقاء مع البيارق وحملة البيارق.

فإلى حملة البيارق في الشَّرق والغرب والعجم والعرب ذكوراً وإناثاً حكاماً ومحكومين متكتلين ومستقلِّين كل التَّحية والتَّرحيب..

سيِّدي أشرتم فيما سبق إلى مسألة في غاية الأهميَّة، وأنَّ هنالك علماً اسمه علم الرَّمز وعلم الإشارة وأنَّ هذا العلم له منزلته في فقه التَّحوُّلات وعلم السَّاعة وأنه من فروع علم الإحسان بل وأنه أصل في الكتاب والسُّنة.. نحن في هذا الموضوع نحاول أن نتوقَّف على جهدكم الميدانيِّ وصياغتكم عبر المراحل المتراكمة في موضوع الشِّعارات.. ربما اليوم الشِّعارات أوالوسم أو البراندينغ (Branding) في لغة العصر ـ أي العلامة التِّجاريَّة ـ لها

موقعها في المؤسَّسات ولها موقعها في الأفكار حتى اليوم في الدِّعايات والإعلانات لها مكانتها.

موضوعنا الشِّعار سواء كان شعاراً لفظيّاً فيه رمزيَّة أو كان شعاراً مرسوماً موسوماً في شكل ختم أو علامة في كتاب أو مؤسَّسة فكيف ترون المدخل؟ أريد أن أسألكم سؤالاً شخصيّاً وهو عندما تباشرون صياغة عمل أو مؤسسة أو فكرة كتاب هل يكون الوارد هو الكتابة أولاً أم الرَّسم؟

هو أولاً ما ذكرتموه بالعموم في مسألة الرَّمز وما إلىٰ ذلك فهو جزء من علوم الإسلام أو من فروع علوم الإسلام وخاصَّةً فيما ذكرتم من علوم الإحسان، وغالب من عرفناهم من الشُّيوخ العلماء والأولياء والصَّالحين لهم علاقة قويَّة بالرَّمز اللهم إن الإنسان يمكن أن يطوِّر مفهوم الرَّمز بمستوىٰ ثقافته كلما زادت ثقافة الإنسان وخاصَّةً في متعلّقات الحياة ومستجداتها ربما فتح له أفق أوسع في مفهوم الرَّمز والاستفادة من هذا الجانب.

مسألة الوارد الذي يرد علىٰ الإنسان ساعة كتابته وبالطبع أنت خصصتني في هذا الموضوع كيف يحصل؟ يختلف باختلاف الموضوع ذاته ويختلف باختلاف الحال فأحياناً قد يكون الباعث

ليس التَّصور قد يكون الباعث حالةً معيَّنةً تكون سبباً في ذلك مثلاً: قـد ألاحظ فيلم قد ألاحظ مسلسـلاً قد ألاحظ مثـلاً رؤية حزبيَّة موجودةً في المرحلة معيَّنة يتكلَّمون فيها دائماً يأتي وجه المقابلة؛ لأنـه غالباً كلُّ ما يوضع الآن في هذا العصر وفي كلِّ عصر يقابله في أبواب الخير في أبواب الدِّيانة، في أبواب الإسلام، في أبواب الإيمان، في أبواب الإحسـان، في العلم بعلامات السَّاعة ما يعيد نسـيجه على الوجه الإيجابيِّ فكانت هذه الفكرة غالباً ما ترد إليَّ في سـاعة ما أرى وأحياناً قد يكون في المنام قد يكون شـيء من هذه المفاهيم ترد بهذا المعنى في المنام فإذا بقيت في الذِّهن إلى وقت الانتباه قد أسجلها حتى بعض الرُّسومات.

هل ممكن حتى في المنام تَرون صوراً ورسومات؟

نعم، لأن الرَّمز في الإسلام عبر المنام مسألة بديهيَّة ويجب الإيمان بها قطعيَّاً لأنها جزء من آيات الله بل أكبر السُّـور في سرد الرَّمز والقصَّة وتحليلها سـورة يوسف فهي عبارة عن رموز كلها رموز.

فالرَّمز هو بالطبع علم وبعد هذا العلم فيه نسـبة من الإلهام ونسبة من الفتح الذي يجريه الله سبحانه وتعالى للرَّاغب المرتبط

برجال هذه المعرفة وهذا العلم، وكما ذكرتم في الكلمة أنَّ المسألة مخدومة في القرآن ومخدومة في السُّنة اللهم إن تفصيلها وتبيينها وتعليلها وتحليلها لم يصادف العلماء المشتغلين بهذا الجانب إلا القلَّة وهم رجال كبار في الصُّوفيَّة.

تجد أنَّ كثيراً من كبار الصُّوفيَّة مالوا إلىٰ الرَّمز حتىٰ في الكلام عن المرأة في الكلام عن الخمرة في الكلام عن كثير من الظَّواهر التي لمّا يراها الجيل المجرَّد عن مفهوم علم الرَّمز، اليوم يربط نفسه مباشرة بالجانب الجسديِّ أوبالجانب العاطفيِّ ويستعجب ويستغرب أن يكون ولي من أولياء الله أو عالم من العلماء الكبار وهو يستخدم المرأة بمسمَّاها سعاد أو مسمَّاها ليلىٰ أو أشبه بهذه الأسماء في القصائد أو في العبارات الذين يقولون هذا الكلام ويقعون فيه دلالة علىٰ أنهم نصيب وافر من اللُّغة ومن الذَّوق للأسف منعدم، أمَّا إذا توسَّع الإنسان في علوم الدِّين أوَّلاً ثم دخل إلىٰ علم الإحسان بالذَّات وتوسَّع في مراتبه الثَّلاثة لأنه في رمز لعلم اليقين ورمز في عين اليقين ورمز في حق اليقين حتىٰ الألفاظ كلّ واحدة لها معنىٰ قد تكون أوسعها معرفةً علم اليقين لأنه مبني علىٰ مسألة العلم لكن لما تدخل إلىٰ عين اليقين وحقِّ اليقين مسألة مبنيَّة علىٰ الرَّمز تماماً لا يعرف الإنسان

مفهوم الحقيقة المطلقة وكذلك بالنسبة لمسألة عين اليقين هذه لها مسائل معيَّنة يعرفها بالطبع أهلها وتكليف الناس بها فيه نوع من الاستعجال الذي ربما لا يناسب عقول كثير من الناس.

يعني هذا الكلام يفتح للمتابعين وحملة البيارق والمتشوِّفين لهذه البيارق بيارق النُّبوَّة والأبوَّة تساؤلات كثيرة نحن نحاول أنَّ هذه التَّساؤلات نأخذها بشكل تطبيقيٍّ.

فبين يدي هنا كتاب من نتاجكم ويراعكم وهو «إحياء منهجيَّة النَّمط الأوسط من سادة الصُّلح وبقيَّة السَّيف وبراءتهما من طرفيِّ الإفراط والتَّفريط المسيس» العجيب قبل ما يلفت الانتباه المطالع للكتاب على الكتابة يلتفت إلى الألوان وإلى الرَّسم وإلى التَّدرُّج الموجود فيها.

قبل ما نقف ما هو النَّمط الأوسط؟

بالطبع عند الدِّراسة التَّاريخيَّة ودائماً ذكرنا في الحلقات أنَّ المسألة ليست مبنيَّة على مصادفة وليست مبنيَّة على لحظة من اللَّحظات التي ترد على الإنسان هي مبنيَّة على دراسة علم اسمه فقه التَّحوُّلات، وعلم التَّحوُّلات فقه مرتبط بالعلم المعروف بعلامات السَّاعة أو ما يسمى بعلم المتغيِّرات ثم بعد ذلك يرتبط

بمفهوم الدَّلالة للرُّكن الرَّابع من أركان الدِّين، فلما كان هذا الأمر مبنياً علىٰ الدِّراسة وعلىٰ تفصيل هذا الأمر وصلنا إلىٰ هذا بعد الدِّراسة الكافية لمفهوم النَّمط الأوسط وهي عبارة جرت علىٰ لسان الإمام عليّ رضي الله تعالىٰ عنه وهو يتكلَّم عن أبنائه وأحفاده عندما أشار إلىٰ أنَّ النَّمط الأوسط في أخريات الزَّمان هم المخرج للأمة فقال: «خير الناس هذا النَّمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي»[١] في عبارة هكذا صيغت علىٰ لسان سيِّدنا عليّ بن أبي طالب، فأخذت اللفظة المتعلِّقة بالنَّمط الأوسط، فوجدتها تعني الفريقين: سادة الصُّلح وبقية السَّيف، وبقية السَّيف لفظة أصدرها الإمام عليّ رضي الله تعالىٰ عنه علىٰ ذريَّة الحسين بعد مسألة كربلاء.

لذلك نرى في الرَّسم أنَّ هناك سيفاً مجرَّداً يقطر مثل الدَّم وهو إشارة إلى بقيَّة السَّيف، إشارةً إلى أبناء سيِّدنا الحسين؟

نعم، إشارة إلىٰ أبناء سيِّدنا الحسين، وكذلك الجانب الآخر متعلِّق بالعصا وهم الذين اختاروا طريق السَّلام.

إذن فالنَّمط الأوسط بين صفتين: بين مجموعة رضيت

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة»، (٣٤٤٩٨).

السَّــلام وقامت به، وبين مجموعة رضيت الخروج وقامت بحقِّه من النَّمط الأوسط واستشهدت، توقَّف الأمر فيها فقد استشهدت وذهبت.

وكلاهما صاحب بيرق؟

كلاهما صاحب بيرق وكلهم النَّمط الأوسط.

الاثنان يشكلون مدرسة النَّمط الأوسط؟

كلهم النَّمط الأوسط، بعد ذلك تقسَّمت سادة الصُّلح وبقية السَّيف فيما بعد تقسَّــمت إلىٰ فريقين آخرين، بالطبع هذا الكلام سـنجده في كتاب «التَّكوين الآدميِّ»، أشرنا فيه إلىٰ هذا التَّفصيل الذي جرىٰ بعد ذلك ولكلٍّ منهم رمزه الشَّرعيّ.

ربما هذا الكتاب لم يُطبع بعد؟

نعم لم يطبع بعد.

يعنـي هنا نحــن نرى القبَّــة عليها الهلال (عهد الرِّســالة)، ثم أتت مرحلة (الخلافة الرَّاشدة) الثَّلاثون سنة بنص النُّبوَّة[1] وختمت مع سيدنا الحســن وعنوان الخلافة الكتاب والسُّنة، الآن سيِّدي في

---

(١) سيأتي تخريجه لاحقاً.

الأطراف مكتوب مرحلة (الملك العضوض)، وفي الجانب الأيمن الأُغيلمة وفي الجانب الأيسر قريش (أُغيلمة قريش).

نعم، هذه إشارة إلىٰ ما اجتمع تحت هذا الإطار من دراسة المراحل، أي كرمز لدراسة المراحل، مرحلة الرِّسالة لها رمزها، مرحلة الخلافة لها رمزها، ومرحلة هذه الألفاظ فيها تفصيل أغيلمة قريش الذين هم جزء منهم في المرحلة الأمويَّة وجزء منهم في المرحلة العباسيَّة، الثَّاني ما ذكرتم إليه في الجهة الأخرىٰ.

نعم، مرحلة أُغيلمة قريش ومرحلة الملك العضوض.

هذه كلها عبارة عن تداخل ما بين الأغيلمة حتىٰ الذين لم يدخلوا في دائرة الحكم ولكن يكونون في دائرة العلم ممن سار علىٰ هذا النَّهج؛ لأنه عندنا نموذج يسمىٰ (حكَّام السُّلطان) أو (علماء السُّلطان) ولهم موقع في هذا الموقع لأنهم تفرَّعوا، وعلىٰ سبيل المثال: عندما نقول أهل السُّنَّة والجماعة.

اليوم تجد الناس يتكلمون علىٰ أهل السُّنَّة والجماعة كمنهج واحد! منهج أهل السُّنَّة والجماعة من بعد صلح الإمام الحسن انقسم إلىٰ قسمين: قسم أهل السُّنَّة والجماعة المسيسة المرتبطة بالأنظمة من عصر الملك العضوض الأول والثَّاني،

وأهل السُّنَّة والجماعة المرتبطين بالنَّمط الأوسط، وهذه مسألة مهمَّة جداً في التَّفصيل.

والآن يخلطون! ترىٰ الصِّراع الآن بين السُّنَّة مثلاً وإخواننا من الشِّيعة، لماذا؟ لأنهم قرؤوا السُّنَّة واحدة.

أنا قرأت هنا في الكتاب أنّكم تفصِّلون وتفرِّقون بين سُنّة سياسيَّة وسُنّة أساسيَّة، وبين شيعة سياسيَّة وشيعة أساسيَّة.

وبين سنَّة مصنَّعة وشيعة مقنَّعة.

نحن نعتقد كسقف أهل البيت وكسقف أهل الذَّوق أنَّ الشِّيعة شيعتنا، والسُّنَّة سنتنا بمعنى الأساسيَّة؟

هو الأصل، والانحرافات التي جرت غير مدروسة حتىٰ صار الانحراف في كثير من المجموعات الموجودة في تسلسل التَّاريخ الإسلاميِّ؛ فهم يتبنّون مفهوم النَّمط الأوسط، ويتبنّون خدمة الكتاب والسُّنَّة، وهم في الأصل النُّصوص لا تسفِّههم بذلك وإن كان يسفِّههم الدُّخول في الإسلام، هم ليسوا خارج دائرة الإسلام لكن ليسوا مفهوم النَّمط الأوسط، وليسوا مفهوم الوسطيَّة الشَّرعيَّة والاعتدال الواعي، ولا يمثِّلون المفهوم الذي وضعه سيِّدنا الإمام الحسن في مفهوم الصُّلح، ولا فيما بقي في

مذهب الإمام علي زين العابدين في مفهوم بقيَّة السَّيف والمنهجيَّة التي وضعت لهم، أو حتىٰ فيما تفرَّع عنهم مثل موقف الإمام زيد في خروجه، أو موقف الإمام محمد الباقر في تبنِّيه منهج السَّلام فإن ولدين للإمام عليّ زين العابدين كلُّ منهما تبنَّىٰ مدرسة تدخل تحت دائرة النَّمط ما تخرج عنها.

لكن بعد ذلك تفرَّع من مجموعة الإمام زيد (الرَّافضة) فقال: «اذهبوا فأنتم الرَّافضة»، لأنه خرجت منها مجموعة شذَّت إلىٰ الجانب الآخر من موقع الإفراط، كذلك في مواقع أخرىٰ من أهل السُّنَّة والجماعة المسيسة دخلت كذلك مدارس منها الفرق الإسلاميَّة المتنوِّعة المتصارعة كلُّ هذه مرسومة عبر شعارات الآن رتَّبناها.

فالشِّعار هذا بألوانه بتفاصيله مقصود؟

مبنيٌّ علىٰ هذه الدِّراسة نعم.

إذا أخذنا نمط آخر، الختم الخاص بكم (ختم الموجِّه العام لأربطة التَّربيَّة الإسلاميَّة)، حتى في بعض السَّنوات وصلت الدَّورات التي تقيمها أربطة التَّربية الإسلاميَّة إلى ٣٠٠ و٤٠٠ و٥٠٠ دورة في الذُّكور والإناث.

هـذا الشِّـعار المطـروح هنـا: ثوابـت نبويَّـة، رعايـة أبويَّـة، يتوسَّـطها قلم أشـبه بالأقـلام التـي يحملها أصحاب القـرار وأهل الثَّقافة يعني ليس هـو بالقلم العادي، والآية الكريمة: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢]. هذا ختمكم الخاص؟

نعم، هذا ختـم المكتب الموجِّه العام عندنا علىٰ اعتبار أنَّ وظيفة المكتـب الخدمة لكلِّ الرُّؤىٰ المطروحة سـواءً كانت في الجانب الرَّمزيِّ، أو كانت في الجانب العلميِّ الشَّرعيِّ، أو كانت في جانب دراسـة الأركان الأربعة، بحكـم أنَّ الموقع الذي نحن نعمل فيه أحياناً بعض الأشـياء تخصُّه خصوصيّاً، فوضعنا له هذا الشِّعار وهذا الختم علىٰ هذه التَّفصيلات.

الوقت يدركنا، أريد أختمها بالسُّؤال عن الشِّعارات اللَّفظيَّة، خصوصـاً القاعـدة الميكفليَّة: الغاية تبرِّر الوسـيلة، كان لكم عليها تحفُّظ وانتقاد، وأعدتم ترتيبها بعبارة أخرى وقلتم أنَّ الغاية لا تبرِّر الوسيلة بل (الغاية تقرِّر الوسيلة).

هـذا لما كنت فـي زيارتنا إلىٰ فرنسـا التقيت مع جملة من الدَّكاتـرة وكان منهم الدُّكتور المشـرف علىٰ العـلاج، فكان من ضمن الوقت الإضافيّ عندنا أن سـألته علـىٰ هذا المذهب الذي كان أصله من فرنسـا، فقلت له هذا المذهب، فشرح وكان يتكلم

لـي علىٰ هذا المذهب وأنَّ له دوراً في نشـر الثَّـورات في العالم وكان هـو الأصـل والأسـاس، فقلـت للمترجم إنَّ هذا الشِّـعار الإسـلام يأباه، ويرفضه ولا يقيم عليـه قاعدة ولا يعتبر قاعدة في صلاح الشُّعوب والأمم.

فهـو بالطبع اسـتغرب واسـتعجب فشـرحت لـه الوضع الإسـلاميّ الصَّحيح في طرح الشِّـعار: أنَّ الغاية تقرِّر الوسيلة لا تبرِّرها، فهو اسـتغرب واسـتعجب في هذا وقال: هكذا الإسلام! قلـت له: نعم، هكذا الإسـلام، الإسـلام يقـرِّر الوسـيلة، ويغيِّر الوسيلة بحسب الغاية.

مثلاً أنا غايتي أني أصل إلىٰ بلد معيَّنة أو إلىٰ شـعب معيَّن، لكن سـيكون علىٰ طريقة دم! الوسيلة خطأ، إذن لا أصل إليها، لا بد أن أبحث عن وسيلة أخرىٰ توصلني إلىٰ غاية عن طريق السَّلام وليس عن طريق الحرب، وليس عن طريق الدَّم، وليس عن طريق الذَّم. هذا أصل الإسلام.

حتـىٰ كان من ضمن الكلام الذي يـدور معنا مع المترجم كان يقول: لو أنَّ الأمة الإسـلاميَّة عرفت هذا ونحن عرفناه لكان أسلمت فرنسا!

إلىٰ هــذا الحد كان تلفظ به فيما يعرف من هذه التَّغييرات، وهذا كان واحد من المسائل التي تكلمنا عنها.

وربما لكم شـعار آخر كذلك أنه انتقدتم العبارة المشـهورة: (العقل السَّليم في الجسم السَّليم).

لأن هذه انتشــرت فــي الوطن العربيّ والوطن الإســلاميّ، فما من نادٍ مــن النَّوادي المعروفة الآن والمألوفة إلا وعليها صور أصحــاب العضلات والملاكمين وأشــباههم وأمثالهم، ومكتوب عليها: العقل السَّليم في الجسم السَّليم، فصار هدف الولد أن يُنمِّي أعضــاءه وينمِّي جســمه، وليس ذلك ببعيد أنَّ تنمية الجســم جزء من حالة الإنســان وحاجة الإنســان، لكن المســألة مسألة أهداف وغايات، فليس الإسلام في غايته أن ينمِّي الإنسان الجسد، فلذلك صُحِّ هذا الشِّعار إلىٰ: (العقل السَّليم في القلب السَّليم)، في القلب السَّليم وليس في الجسم السَّليم وإن كان الجسم له مكانه.

الله يجعلنــا مــن أهــل القلب السَّــليم.. وهــذا موضوعنا في الشِّــعارات كان ومــا أحوجنا اليوم في مواقعنــا وثغورنا، وأينما كنا وأينما حللنا، على دائــرة البيت، أو المصنع، أو المزرعة، أو العالم أجمــع، أن نعيــد ترتيب شــعاراتنا وهويتنا التي ننطق بهــا، فإنَّ لكل مدرسة رمزها وهويتها. والحمد لله ربِّ العالمين.



بيارق الأوسمة
المراتب والمواهب

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلام متِّصل في البيارق في موضوع ربما يكون مستغرباً عند كثير ممن يتابعنا الآن لأنه منتشر في رتب الجيوش وحركة العسكرة في العالم وفي بعض الأحيان في الشِّركات الكبرى التي تقلِّد موظفيها ومدراءها أوسمة أو عند الملوك الذين يمنحون بعض العلماء والسِّياسيِّين والاقتصاديِّين على جهودهم ربما ألقاباً تشريفيَّة أو أوسمة تعريفيَّة.

في منتصف شوال عام ١٤٣٥هـ كنتم في افتتاح دورة في اليمن في عدن في رباط المشهور دورة في فقه التَّحوُّلات وأعلنتم لطلبة التَّربية الإسلاميَّة ومن وراءهم ذكوراً وإناثاً أنكم ستعلنون في المرحلة المعاصرة عن تقليد أوسمة لطلبة المعاهد والمهتمين بفقه

التَّحوُّلات بل وكأنه الأوسمة ستتَّسع إلى كلِّ من يشغل دور شرعيّ في المرحلة المعاصرة، ماهو طبيعة الموضوع والباعث عليه؟

طبيعة الموضوع والباعث أننا نقرأ قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٧] فليس الجنود المقصود بها فقط الجيوش ومراتب الجيوش وأوسمتها ونياشينها وألقابها؛ لأن الأمر المتعلِّق بالحقِّ غير الأمر المتعلِّق بالخلق فأمر الخلق علىٰ ما رتبوه في هذه الحياة لكن الحقَّ سبحانه وتعالىٰ سمَّىٰ عباده الصَّالحين وحتىٰ غير الصَّالحين ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٧]، يدخل فيها الإنس والجنُّ والطَّير وغيرها حتىٰ يقال إنه مكتوب علىٰ جناح الجراد جند الله، فهو دور من الأدوار التي يؤدِّيها مثل هذا.

وربما كان في عصر فرعون كما هو معروف في الآيات الكريمة ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، فكلُّ هذه كائنات لكنها جند الله، فلله سبحانه وتعالىٰ في هذا الوجود جنود فما دام يوجد جنود يوجد رتب وما دام يوجد رتب يوجد ألقاب بلا شكَّ في ذلك، وخدم هذا بدراسة علم الإحسان تجد أن الشُّيوخ ينظرون إلىٰ تلاميذهم بمسميَّات معيَّنة في ساعات محدَّدة عرفنا من هذا الكلام

مثلاً عندما تقرأ كتاب «قوت القلوب» للشَّيخ أبي طالب المكي أو عندما تقرأ للإمام السهروردي في كتابه «عوارف المعارف» تجد أنَّ العلاقة بين الرُّجولة وبين المشيخة وبين الإرادة في المريد فيها نوع من هذا التَّناسب ولا أقول التَّمايز ولكن فيها شيء من هذا التَّناسب الذي عرفنا من خلاله القراءة فيه أنَّ جيل الأمَّة المحمَّديَّة يجب أن يعود إلىٰ المدلولات الموجودة في الألقاب الشَّرعيَّة الجامعة للإسلام والإيمان والإحسان كيف ترجع؟ بإيجاد دراسة خاصة من خلال المتغيِّرات وهي الرُّكن الرَّابع من أركان دين الإسلام المعروف بفقه التَّحوُّلات.

فمهمَّة فقه التَّحوُّلات إضفاء هذه المفهوميَّة حول مسألة المراتب والألقاب هذا الذي دار في بالنا منذ زمن بعيد جاء الوقت الآن، وحان أن نضع هذه الأوسمة علىٰ شكل معادل وليس منافس، لسنا منافسين لأحد، فالألقاب والنَّياشين موجودة في العالم حتىٰ عند الكفَّار لكن نحن نتكلَّم عن شيء اسمه المعادل فطالب العلم المتخرِّج اليوم من الجامعة وصاحب الدُّكتوراه ويمكن أن يكون أكثر من ذلك هو يفخر بوجود شهادة بروفسور يفخر بشهادة بكالوريوس أو ما تسمونها بأكاديميَّات معيَّنة معروفة لكن لا يوجد أمامه في المراتب التي درسها أوالعلوم التي أخذها

وهي ما نسـمِّيه بالجانب الشَّرعيِّ لا يوجد أي مرتبة ولا أي لقب ولا أي إشارة.

فـي هذا الجانب عندما جمعنا في الأربطة بين الدِّراسة الأكاديميَّة وبين الدِّراسـة الشَّـرعيَّة وجدنا أنَّ هـذا الجيل يحتاج لمثل هذا الأمر وأن نبتدع إذا صحت العبارة أو نسمِّيها سنَّة حسنة أن نضـع لهذه المسـمَّيات التي يتكلَّم عنها الشُّـيوخ ومبثوثـة في كتبهم أن نعيدها ونعيد صياغتها وندخلها على صفة ألقاب ورتب وكذلك إشارات معيَّنة.

وهـو هذا الذي لفت انتباهي فقد شـعرت أنَّ هناك مزجاً بين مراتب الإحسـان، فمثلاً في بعض الأوسمة التي تكلَّمتم عنها هناك سالك ناسك وارث مريد ومزج بفقه التَّحوُّلات.

مـن شـرط الذي يُمنـح هـذا أولاً أن يكون دارسـاً لفقـه التَّحوُّلات، كلُّ من كان خارج هذه الدَّائرة لا يصلح له أن تسـمِّيه وارث؛ لأن وراثتـه وسـلوكـه وإرادته مبنيَّة على دراسـة الثَّلاث أركان، لأنه سـيخوض معركة في الواقع وهي مبنيَّة على دراسة فقـه التَّحوُّلات وإعادة القـراءة للأركان الثَّلاثة على أسـاس فقه التَّحوُّلات، هنا فقه التَّحـوُّلات يمنحه من هذا الباب هذا المعنى

أنك تسـمِّيه تحت هذه الدِّراسـة، فلو أن إنسـاناً مثلاً في مصر لم يـدرس فقـه التَّحوُّلات لكـن بلغ إلىٰ مراتـب الولاية الكبرىٰ لا نتدخَّل في شـأنه ولا نتعرَّض لهذا الأمر حتىٰ يقتضي دراسـة فقه التَّحوُّلات فهنا شـيء آخر يوجد عندنا أوسـمة ونياشين لمن لم يقرأ فقه التَّحوُّلات، ويوجد أوسمة أخرىٰ.

لاحظت أنكم فرَّقتم بين الأوسمة الخاصَّة؟

الخاصَّة بطلاب العلم تحت هذا المسمَّىٰ من بداية المحبِّ والسَّالك والمرتبط وغير ذلك من المسمَّيات الموجودة في كتب السُّـلوك كما هـو معلوم أضفنـا إليها ألفاظاً أخرىٰ مثل النَّاشـط ومثل المعاون مثل غيرها كإضافة، وإضافةً إلىٰ مسائل معينةً مثل التصوُّف الموجود كطرق الآن قائمة.. ماذا سـنتكلم عن شـيوخ طرق قائمين في المجتمع، عملنا وسـام وعملنا رتبة معيَّنة تحمل هذا المسمَّىٰ لشيوخ معيَّنين قائمين علىٰ السُّلوك.

لاحظت اهتمامكم في موضوع تقليد شيوخ الطُّرق الأوسمة تعريفاً بدورهم وتكريماً لجهودهم وهو الوسام المشهور أو المرتبط بالخلافـة العثمانيَّـة، أنا حقيقـة لا يوجد عندي تصـوُّر تفصيليّ عنه لكن وجدت أنكم مهتمِّين، حتى أني لما دخلت مكتبكم في منزلكم المبارك في عدن وجدت أنَّ الشعار يتَّصدر المجلس.

أُهدي هـذا لنـا من بعض الأخوة فـي تركيـا ووصل إلينا وفرحنا به كثيـراً وكان باعثاً كما ذكرت لك أنَّ البواعث تأتي عن طريق سبب فكان باعثاً أن نحن نضع هذا باعتباره غطاء للتصوُّف وغطاء لمدرسـة الإحسـان. كانت الخلافة العثمانيَّة وهذه مسألة مهمَّـة ويجب أن يعرفهـا الناس كان الغطاء الـذي يحفظ نماذج ومدارس ومهمَّات المدرسة الصُّوفيَّة المذهبيَّة المرتبطة بآل البيت علـىٰ منهج الاعتدال والوسـطيَّة الشَّـرعيَّة كانت دولـة الخلافة، ولهذا عندما سـقطت دولة الخلافة ذهب هـذا الغطاء الذي كان نسبة من نسـب الدعم لهذه المدرسـة فلذلك ترىٰ كيف تمزَّقت وبل مُزِّقت يكاد أن يكون باسم الإسلام.

إذن بقي هذا الشِّعار وهذا الشِّعار كتبه ووضعه عبد الحميد الثَّاني، السُّـلطان نفسه هو الذي وضعه؛ لأنه كان يشتغل بالنِّجارة ويشـتغل بالرَّسم، وكذلك عنده نسـبة من الرَّمز وهو أيضاً تلميذ ومريد في المدرسة الصُّوفيَّة المعروفة في عصره وزمنه وله ارتباط بهذه المدرسة.

فهـذه إشـارة إلـى آخر بيت قـرار إِسـلاميّ خالـص في آخر مرحلة محصَّنة؟

نعم جمعت بين قراري الحكم والعلم فلذلك أشرنا إليها.

في الجلسة تلك أشرتم سيِّدي إلى أنَّ هذه اللَّوحة ـ والحمد لله أننا رأيناها بين أيدينا وترتبط باسم البرنامج البيارق ـ هي قلادة بيرق النُّبوَّة.

بيرق النُّبوَّة مرتبة روحيَّة ومسمًّى لها معنىً معيَّن يؤخذ به البيرق ذاته لكن لهذا البيرق قلادة؛ أي بمعنى أنها أدنى منها قد يمنح الإنسان قلادة بيرق النُّبوَّة وهي ما توضع في العنق فوضعت هذه كفكرة لأجل أن تكون شبه، مثلاً تعطى لبعض الشخصيات وتعطى لبعض العاملات في خدمة دور الزَّهراء في مواقع التَّعليم وفي مواقع الدَّعوة إلى الله كتشريف.

أذكر لما سألتكم أنَّ هذه القلادة للرِّجال أم للنِّساء قلتم: هي مرتبة وليست خاصة بجنس.

لأن فقه التَّحوُّلات يقرأ الرُّجولة كمرتبة ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ربما ظلمنا النِّساء لو قلنا أنَّ هذه الآية تخصُّ الرِّجال وحدهم إذن فهي تخصُّ الرِّجال أي: أهل المرتبة الذين يبلغون مرتبة الرُّجولة ومرتبة الرُّجولة أن يجمع الله لهم بين الإسلام والإيمان والإحسان هذه رجولة.

نحن نطمع وكل من يتابعنا في نواحي العالم في الشَّرق

والغـرب كبـاراً وصغـاراً أن نكـون مـن أهل قـلادة بيرق النُّبـوَّة إن شاء الله على أيديكم بإذن الله.

اللهــم آمين اللهم آمين بإذن الله يجعله الله لنا ولكم وتكون القلادة مع الجانب الرُّوحي ســرُّ القلادة ســرُّ الولاية سرُّ الخدمة ســرُّ الارتبـاط؛ لأننا لا نريد أن نجرد هــذه الألقاب أو نجرد هذه لتصبـح موضوعاً ماديّاً بحتاً قد يســرقها الإنســان ويعلقها أو قد تأتــي إلــىٰ الناس بطريقــة أو بأخرىٰ أو عن طريــق التَّقليد أو عن طريــق التَّشــابه مثلاً، يجب أن يكون لها ضوابــط ويمكن اطلعتم علىٰ بعض الضَّوابط التي كتبناها حول هذه المواضيع حتىٰ تكون مأمونةً ويكون وضعها وتسميتها ليست مبنيَّة علىٰ العواطف.

حتــىٰ عندنا بيرق النُّبوَّة لا يمكــن أن يعطىٰ أحد إلا برؤيا، لأن الرؤيــا رمــز والوراثة عطــاء رمزيّ فلا يمكــن أن يصل إليها الإنســان إلا من خلال تحليل مفهوم الرُّؤيا التي يراها وخاصة إذا كانت للنَّبيِّ ﷺ.

صلَّـى الله عليـه وآلـه وصحبه وسـلَّم. هـذا يدعونـي إلى أن أتوقف مع رسالة لأحد الباحثين في المدرسة الأستاذ أحمد الكاف «أبنيـة في تأصيـل الألوية» وتكلَّـم فيها عـن الرَّاية واللِّـواء والعَلَم

والشُّكنة والعلامة وموقع البيرق في فقه علامات السَّاعة وأنَّ هذه البيارق من علامات السَّاعة.

سيِّدي في كثير من الأحاديث النَّبويَّة النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام يشير إلى مرحلة يؤول فيها أمر الأمَّة إلى الكفر وإلى الكافر بمعنى تصنيع القرار وتسييس المرحلة وأنه لا يكون في المرحلة إلا رايات وكأنه لا يوجد نوع من العقد الناظم للأمة إلا رايات وكل راية لها لون، فمثلاً في بعض الأحاديث نقرأ أن الرَّايات السُّود رايات الخراساني أو رايات المشرق راية اليماني صاحب الإزرة البيضاء راية السُّفياني الحمراء ولها أوصاف ربما في كتب الفتن وبعضها ربما عليها كلام في مصطلح الحديث لكن من حيث طولها وامتدادها وشكلها حذرتم في بعض كتبكم من المواجهة السَّافرة بين أصحاب الرَّايات السَّوداء والرَّايات الصَّفراء.

كيف نفهم هذا الكلام عن الألوان في حديث الرَّايات عن النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام؟

كما ذكرنا الألوان في توصفيها علم، والرَّمز في هذا الجانب علم، فكون هذا العلم يبثُّ هكذا على غير ضابط قد يفهمه الناس على غير حقيقته كمن مثل يخلط الألوان على غير ضابط لكن

الإسـلام وضع لكلِّ رقم ولكلِّ وسـم ولكلِّ رسم ولكلِّ لون في الإسلام له دراسة خاصَّة ينبغي أن تعرف بخصوصيَّاتها.

النَّبي ﷺ ليس أوَّل من تكلَّم في الرَّايات والألوية والبيارق بل يمكن تجد في البحث أن أوَّل من وضع الألوية سيِّدنا إبراهيم عليه السـلام[1] إذن فهي مرتبطة بالحنيفيَّة السَّمحة التي قال فيها ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحـج: ٧٨]، إذن فهـو أوَّل من وضع وعقد الرَّايات في معركة لأجل إنقاذ سـيِّدنا لوط عليه السَّـلام في ذلك الزَّمن ثم بعد ذلـك جاءت الألوية والبيارق ومسـمَّيات الرَّايات والبنود وغيرها من المسـمَّيات والعبارات المتنوِّعة في الألفاظ، لكن عندمـا أطلقت البيـارق في فقـه التَّحوُّلات كانـت مرتبطة بالرُّؤيا حتىٰ أنني استشـكلت هذا الأمر عندما قيل لي أنه ليس لها موقع في اللُّغة إلىٰ الآن لكن بالبحث سـنجد أنَّ لها إما أن يكون عـن طريق اللُّغة وإما أن يكـون عاضد عن طريق المعنىٰ الرُّوحي للفكـرة كما هو معروف عند كثير مـن أولياء الله في الأرض لهم بيارق ولهم رايات ولهم علامات هذا المقصود بهذا.

فاللَّـون له أصل في الإسـلام فعندما قال النَّبي ﷺ في آخر

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة»، (٣٦٠٣٦).

الزَّمـان كما ذكرتم الهويَّـات تفقد فلا تعرف النـاس إلا براياتها إشارة إلى الاختلاط الذي يجري في آخر الزَّمان حتى في الرَّايات وحتى الرَّايات الصُّفر والرَّايات السُّـود والرَّايات البيض يحصل فيها خلط في آخر الزَّمان.

ولذلك يجب أن يتنبَّه الإنسـان لكل الرَّايات السُّود أنها لا تستوي والرَّايات الصُّفر لا تستوي والرَّايات البيض لا تستوي والرَّايـات الحمر لا تستوي تتعـدَّد وخاصَّة في أمَّة الإسـلام قد تكون فـي أمم أخرى توجد لكـن في أمَّة الإسـلام الرَّايات التي يتتبَّعها الإسلام من خلال الكتب المتعلِّقة بالفتن ومضلَّات الفتن وعلامات السَّاعة سيجد أنَّ هناك توصيف متباعد.

يعني مثلاً قـد يكون حديث في كتـاب وحديث في كتاب آخـر حديث في مسـند وحديث في مسـانيد أخـرى تجد كيف تستطيع أن تلمَّ بهذه الفكرة بعمومها وتتعرَّف على هويَّة الرَّايات السُّود التي أُمرنا أن نتَّبعها؛ لأن كُّل فتنة أو بمعنى أدقّ كلّ معالجة تسـبقها محاولات خاطئة لأن الذي يرسـم الأمـور في الأرض إبليـس وإبليس أكثر النـاس اطلاعاً على الألـوان وعلى الرُّموز وعلى حاجة الناس وعلى رغبة الناس فيضع لهم قوالب مشـابهة لأجـل يدخلهم فيها كمـا ترى الآن عمل قوالب مشـابهة تحمل

مسمَّيات ومفاهيم وضوابط بحيث أنَّ المتأخِّر عنها يعتبر متخلِّفاً عن الجهاد.

لكن ليست هي، هي شبيه، هي مجرَّد شبه، وفرق بين الشَّبيه والأصل، وهذه من فوائد فقه التَّحوُّلات؛ لأنه لا يقدر إنسان أن يطلع عليها من غير فقه التَّحوُّلات ولو بلغ السَّماء إذا درس فقه التَّحوُّلات سيعرف المميزات بين الرَّايات السُّود المطلوب اتِّباعها وبين الرَّايات السُّود التي ينبغي الحذر منها، الرَّايات البيض كذلك الرَّايات الصُّفر كذلك لأنَّ كلَّ شيء له معنىً وليس هذا موقع التَّفصيل لأن كثيراً من الأمور كتمها أفضل من شرحها.

بيارق الإنشاد
الإنشاد والإرشاد

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه وحزبه إلى يوم الدِّين.

فإلى كل محبٍّ ومحبَّة في مشارق الأرض ومغاربها يبحث عن الطَّريق ويريد الرَّفيق ويسأل التَّحقيق، ها هي البيارق نأمل من الله سبحانه وتعالى أن ينعقد لنا فيها لواء القرب والشُّرب من يد رسول الله ﷺ معرفةً بالله وقرباً من الله وعبوديَّةً لله محضة خالصة.

سيِّدي يتفاجأ إخواننا وأخواتنا الذين يدخلون إلى شبكة الإنترنت وخصوصاً عندما نقوم بالبحث عن اسمكم الكريم فلأوَّل وهلة يتفاجأ المتابع باختلاط مقاطع محاضرات لكم بمقاطع أخرى إنشاديَّة فيبدأ الواحد يكتشف جوانب لم يكن يعرفها من قبل، فالحبيب أبو بكر والإنشاد..

النَّشأة والتَّربية والمدى الزَّمنيُّ الذي عشنا فيه بالطَّبع هو

يرجع إلىٰ كثيـر من النَّماذج التي عرفناها من الصِّغر، فالإنشـاد عرفناه بين يديِّ الوالد من الصِّغر، لأن مدرسة حضرموت بالذَّات مثلها مثل الكثير من المدارس الصُّوفيَّة تعطي الإنشاد مكانةً قويَّةً في كثير من الأحوال وخاصَّة في المجالس، فالكثير من المجالس التي تعقد سـواءً كانت مجالس خاصَّـةً أو مجالس عامَّةً أو حتىٰ مجالس يحضرها جماهير كثير تجد الإنشـاد له موقعه؛ فهو معبر عن حـب النَّبيِّ محمَّـد ﷺ أو معبِّر عـن الوجدانيَّـات المتعلِّقة بمعرفة العباد بالخالق سـبحانه وتعالىٰ ومكنوناته وموجوداته أو متعلِّقة كذلك بالذَّوق السَّليم في مسمَّيات الحياة التي يحتاج إليها أولئـك الأوائل في الكلام.. مثلاً عن خدمـة الطَّريق عن ارتباط المريد بالشَّـيخ وهذه كثيراً منهم من تكلَّم فيها مثل الشَّيخ شعيب ابن مدين أوغيرها، فكان آباؤنا وشيوخنا يلزموننا من باب التَّدرُّب علىٰ تعلُّم الإنشاد كيف تتعلَّم الإنشاد.

أوَّل مـا تعلَّمنا طريقة الإنشـاد في حضرمـوت وبالطبع حضرموت لهـا مميِّزات عجيبة في الأصوات الغنائيَّة الإنشـاديَّة فتعرَّفنا عليها من خلال ما علَّمنا سيِّدي الوالد وما حضرنا في كثير من المجالـس في حضرموت أوغيرها حتىٰ صار لنا نسـبة من معرفة الإنشاد، وكثير من المشايخ المتخصِّصين كان منهم السَّيِّد

جيلاني سري كان متخصِّصاً في ضوابط أصوات حضرموت لأن حضرمـوت لها ضوابط خاصَّـة وبعضهم ألَّف فـي هذا الجانب فأخذنا نصيباً من هذه المعرفة..

فكنت في مجالس الوالد أنشـد ثم لما انتقلت إلى المملكة وحضرنا مجالـس شـيوخنا مثل الحبيب عبد القادر السَّـقَّـاف وغيرهم من الشُّـيوخ كنا ننشـد، وقد أنشـدت بين يدي الحبيب علوي بن عبد الله بن شـهاب الدِّين وهو من الشُّيوخ الكبار الذين عرفتهـم في صغـري، والحبيب محمَّد بن هادي السَّـقَّاف عرفته في سيؤون، والحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، هؤلاء أنشـدنا بين يديهم ونعتقد أنَّ النِّسبة من هذا العطاء الذي نحن الآن نتمتَّع بـه إنما كان من نظراتهم وفرحهم بنا ونحن نلقي هـذه الأصوات المباركـة، وحيناً قد نكون نجمع بين قراءة القرآن في مجالسـهم وبين الإنشاد.

إذن سـيِّدي قصيدة البردة هذه مشـهورة في العالم الإسلاميِّ وتكاد اليوم من أمريكا إلى أسـتراليا من أسـوار فرنسـا إلى أسـوار الصِّيـن يردِّدهـا المحبُّون والمسـلمون الجدد والمسـاجد الكبرى فـي العالـم الإسـلاميِّ تردِّدهـا، كيف كان شـعوركم فـي مثل هذه المجالس وأنتم تنشدون بين يدي مشايخكم؟

الشُّـعور بالطبع ربمـا لا يوصف وصفاً كامـلاً لكن يعتقد الإنســان عندما يتكلَّم عن مجالس الشُّـيوخ أنه يخـرج من دائرة الحياة التي يعيشـها في المألوف إلىٰ شـيء يسـمَّىٰ غير المألوف علىٰ حسـب روحانيَّة المشيخة. بالطبع هذه مسألة دقيقة في علم الذَّوق وفي علم الإحسـان لأننا نحن لـم نعرف هذا المفهوم إلا بالمباشرة أما القراءة فقد تمَّت القراءة علىٰ مدىٰ طويل لكن عرفنا هذا الشـيء الذي لا يحسّ ولا يعرف إلا بالمجالسة في مجالس مشـايخنا وخاصَّةً سيِّدي الحبيب عبد القادر الذي كانت مجالسه تصبـغ حالة الإنشـاد بروحانيَّتـه وروحانيَّة أشـياخه حتىٰ يحسَّ الإنسـان بشـيء من الرِّضا والفرح بل الكثير من الأحاسيس التي تعتري الإنسان في المفاهيم تأتي في هذه المجالس.

ما شـاء الله يعنـي هذا قريـب في تعبيـري اليوم بما يسمُّونه الشَّبكة والتَّغطية في جوَّالاتنا وأجهزتنا أظنه قريباً من هذا المعنىٰ!

جميل جداً من هذا المعنىٰ؛ لأن القمر الصِّناعيَّ الذي يفرز هذا الشـيء مرتبط بالله سـبحانه وتعالىٰ ويجد الإنسان نفسه في حالة قرب ويجد الإنسان نفسه في حالة وجدان بل يجد نفسه غير المألوف هو نفسه الإنسان في حالة تلك المجالس إذا سينشد، أنا ممكن أنشـــدها في أيِّ مجلـس حتىٰ ممكن الآن أنشـد لكن لن

يكون ذلك الوجدان ولا ذلك الإحساس ولا ذلك المدد ولا ذلك النَّفس ولا ذلك الصَّوت ولا تلك المعاني.

ولهذا تفرُّد عجيب لا زلنا عندما نشهد مثل هذه الأشياء المعبِّرة في هذه الصُّور نتذكَّر تلك المجالس ونستعيد ذكريات ما كان يحسُّ الإنسان به.

أنا ألاحظ ـ وقد يكون الشُّعور خاصٌّ بي أو بشبهي ومثلي ـ أنَّ ساعة إنشادك والشَّيخ ينظر والشَّيخ يسمع والشَّيخ يستوعب والشَّيخ يدعو لك في تلك السَّاعة شأنها عظيم وفيها نسبة من التَّربية.. أنا أعتبر الإنشاد على هذا المعنى طريقاً إلى الله ووصولاً يبلغ به الإنسان ما لا يبلغه بالكلام وما لا يبلغه بالنَّثر وما لا يبلغه بالخطبة وما لا يبلغه بكثرة الحديث المباشر يبلغه عن طريق الإنشاد وخاصَّةً عندما يكون الإنشاد بصوت رخيم وعلى ضوابطه المألوفة ويصادف مكانة عند المشيخة ويصادف مكانة يحسُّ بها.

ولهذا أذكر في بعض المرَّات سمعت في شريط للحبيب عبد القادر كلمةً يعلّق بها على قصيدة للإمام السّودي يشير فيها الإمام السّودي حول التَّربية ويتكلَّم فيها حول الشَّباب والأمَّة المحمَّديَّة في أخذها لهذه العبارة ومن ضمن الأبيات:

هُـم بلَّغـوك الـذي تَرجـو مـن الأرب
شَـاهد جَـمـال مُحيـا غايَـة الطَّلـب
تَـظفـر فـديتُـك بالـعالـي مـن الرُّتـب

فكان الحبيـب يتكلَّم عن هذه القصيدة ـ في الشَّـريط أنا سـمعته ـ ويقول أتمنَّىٰ علـىٰ كثير من طلبة العلـم والمريدين أن يفهموا هذه القصيدة ويقرأوها.

فأنـا بحثت عنها وأخذتها ولمـا كنت في مجلـس الحبيب أنشـدتها فأعجـب الحبيب حتـىٰ حصل عنـده تغيُّر نفسـيٌّ من حالـة الإنشـاد وبعدها قال مـن أين جئت بها؟ قلـت: جئت بها من كلامكم سـمعت تتكلَّمون عنها فألقيتها بين يديكم أتمنىٰ أن أنال ما تيَّسر لكم وذكرتموه في كلامكم. فكان لايتكلَّم بل كانت العبرة تخنقه فشعرت أنَّ هذا العطاء في مثل هذه اللَّحظات يطلب ويرجىٰ وهي أمنية من الأماني التي لا يعرفها الناس إلا عن طريق الوجدان النَّفسـيِّ بين الشَّيخ وبين المريد. فهذه من ضمن الأمور التي جعلتنا نحبُّ النَّشيد ونتكلَّم فيه ونحضر مجالسه ونفرح به.

سيِّدي عندنا فـي الشَّـام يقولون: رُبَّ مُنشـد خيـر من ألف مُرشِـد، وأنَّ النَّشـيد يؤثِّـر في الناس، وأنا وجـدت في مجالسكم

كذلك قد تكون متأخِّرة في مرحلة المشيخة والعطاء أن المنظومات التي كتبتموها وتجلسون ويجلس أحبابكم وأتباعكم ومريدوكم وتبتدؤون قراءة هذه المنظومات بنفسكم وجنابكم فهل هذا كذلك مثل الأخذ في نوع عطاء؟

نعم بهذا المعنى، لأن كلَّ شيء كتبه الإنسان وله بذلك هدف وله نيَّة هذه مباشرة إذا هو تبنَّاها أو دعى إليها أو أجاز فيها تنتقل روحانيَّتها مباشرةً منه إلى غيره، وهذا كما ذكرت لك العلم الذي لا يتلقَّى في الجامعة ولا يتلقَّى في المدارس وإن كان لها نصيبها من المعرفة لكن هذا لا يتلقَّى إلا في مجالس المشيخة سواءً كانت عن طريق الإرشاد والقراءة النَّثرية أو كانت في مجالس الشِّعر أو في مجالس المنظومات أو في مجالس الموالد التي نسمِّيها أو في غيرها فلها مددها الخاصُّ، وكلُّ ما انطوى الإنسان تحت هذه المعاني دون الحاجة للمناقشة الخارجة عن دائرة الأدب معهم يجد أثرها يصل إلى قلبه وإلى روحه وإلى نفسه وإلى وجدانه.

ربما الآن معنا بعض المقاطع من مجالسكم هذه تقرؤون فيها بعض المنظومات بين طلبتكم وبين أحبابكم كذلك.. وفيها:

وانهضْ إلى العالمِ الأسْنى على قَدمِ
التَجريـد لا تَلتفـتْ يوماً إلى سَـبب
واصرفْ على حُبِّ مَن تَهوى وِصالَهم
جسـماً وروحاً وهـذا ليس بالعجب

هذا يدعوني إلى سـؤال أننا نسـمع هنالك قصائد سـلفيَّة، ما المقصود بالسَّلفيَّة؟

المقصود عنا بكلمة السَّـلف من سـبقونا وليست المسألة المعروفة في لفظة السَّـلفيَّة المبنيَّة علـى المصطلح، يوجد هناك مصطلـح يتداول الآن مفهوم السَّـلفيَّة كمجموعة أو كفكرة فتلك شـيء، لكن نحن نقصد بالسَّـلف كل من سـبق من سلفنا الذين نحن نرتبط بهم باعتبارهم آباءنا وأشياخنا ورجال مدرستنا فكثير منهم لهم قصائد مثل الإمـام الحدَّاد مثل الحبيب عليّ بن محمَّد الحبشـيّ ومثل جملة من المشـايخ الذين قالوا الشِّـعر وصاغوه صياغةً إنشاديَّةً فهذه غالباً هي التي نحضر مجالسها ونستمع إليها وتُردَّد في المجالس.

وكذلـك نجـد لكـم قصائـد ذاتيَّـة صغتموها وأنشـدتموها قصائد كثيرة مشهورة منها:

الـعيـنُ إنْ أَلِفـتْ رَسْـماً ومَرسـوماً
تَـظـلُ شـاخـصـةً لـنـحـوهِ دُومــا

حتى قلتم في هذه القصيدة:

قومٌ طَووا نِسـبة الصِّلصال عن جسدٍ
وأيقظوا الـرُّوح مَنشـوراً ومضموماً

وأحْرمـوا بِسـجودِ القلب فـي أدبٍ
خَلـف الإمـام فـكانَ الـكُلُّ مَأمومـا

بالطبـع هذه كلها كانت في مرحلة معيَّنة ونحن في مجلس حبينا وشيخنا الحبيب عبد القادر وجدنا منه الحنان ووجدنا منه حسن النَّظر في سلوكنا وإن كنا نحن يوجد شيء من الجفاء عندنا وعدم المعرفة لكن رأينا من حســن سـلوكه وحسن تلطُّفه بنا هذا الشيء الذي جعلهم يسـمعون منّا مثل هذا الكلام عندما نريد أن نعبِّر عــن وعينا أو فهمنا أومحبَّتنا فكان يسـمح لنا بأن نلقي هذه القصائد.

والحقيقــة نحن جمعناها كلَّها في ديوان سـمَّيناه «المورد العذب» كـلُّ ما يخصُّ هـذا الباب المتعلِّق بمجالـس مشـايخنا وحبايبنا وفي دواوين أخرىٰ كتبناها لأغراض أخرىٰ في مجالس

وفي مناسـبات، وحتىٰ كتبنا في التَّغيـرات الموجودة في العالم العربيِّ والإسـلاميِّ وفي الشُّـؤون التي مرَّت علينا الخصوصيَّة قبـل ذهابنـا إلىٰ السُّـعوديَّة، وبعد ذلك يـكاد أن يكون الجانب الشِّـعريُّ الـذي كتبناه فـي الخُميني وفي الحَكمي وفي شـعر التَّفعيلة كـلُّ هذا احتوىٰ علىٰ كثير من الشُّـؤون المتعلِّقة بتوثيق المراحل التي عشناها.

حتى سـمعت من الدَّواوين التي لم تـر النُّور بعد في الطِّباعة «سـمات ونسـمات قصائـد فـي فقـه التَّحـوُّلات» رتَّبتم عـدداً من القصائد على حروف الأبجديَّة بالألف بالباء بالتَّاء.. إلى آخره.

نعم هكذا نكتب فيها وهي عبارة عن ألفاظ نأخذ منها لفظة من الأبجديَّة ونتكلَّم عنها بشعر التَّفعلية.

بـارك الله فيكـم سـيِّدي ونفـع الله بكـم وحقيقـةً نحـن أمام تنوُّع جميل بين الإنشـاد والرَّسـم والأدب أمام شخصيَّة يعني يكاد الإنسـان لا يقـف لها على سـاحل، فالله ينفعنا بكـم ويرزقنا الأدب معكم ويبارك في أنفاسكم.

في الجميع إن شـاء الله وحفظكم الله وبارك الله فيكم وفي المتابعين وجعل هذا ليس كله لا من باب النَّشـر والدِّعاية ولكن

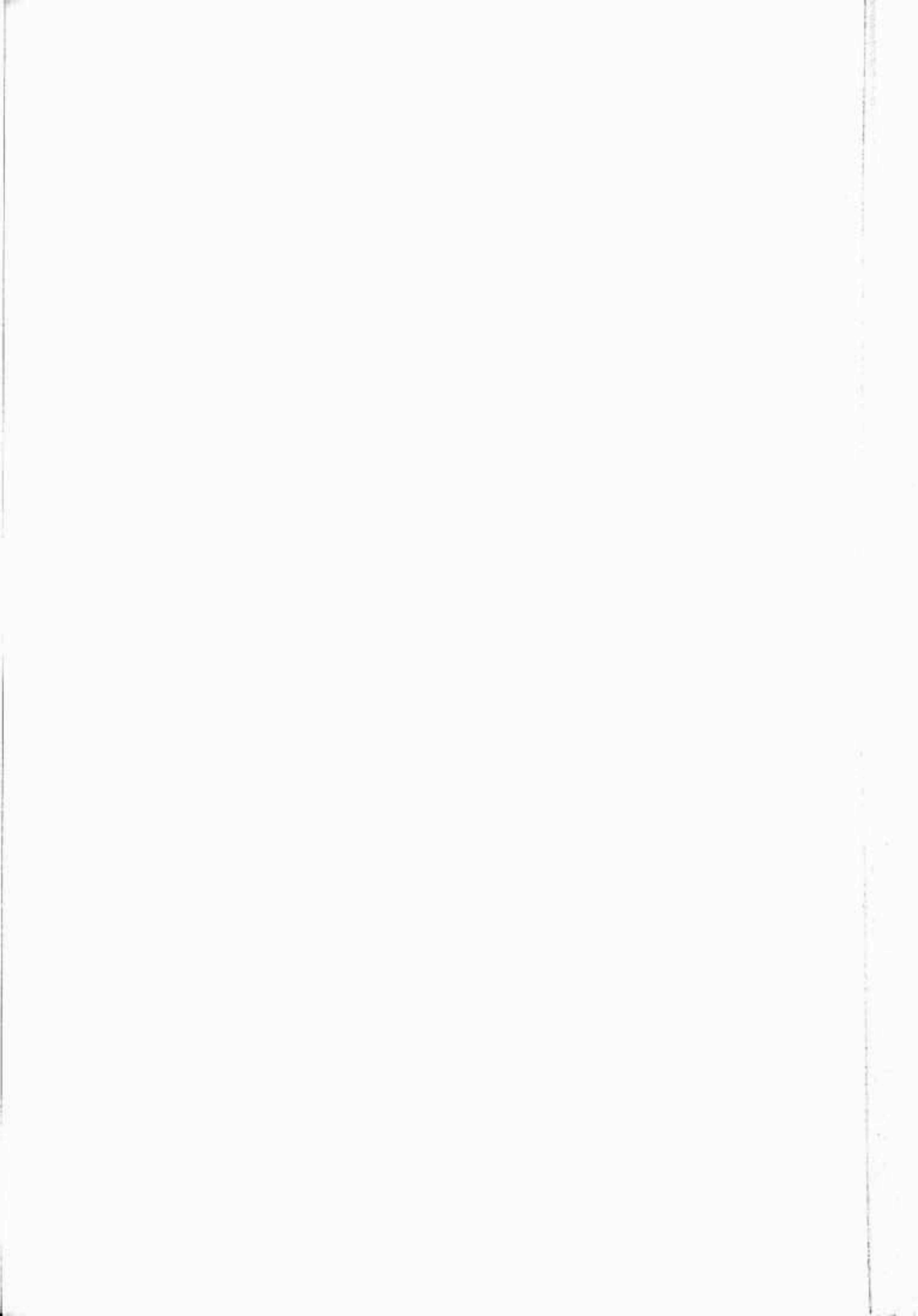
إن شـاء الله من باب الخدمة وإن شـاء الله السَّير في الطَّريق الذي سار فيه خيار الأمَّة المحمَّدية لنا ولكم أجمعين.

إن شـاء الله حتـى يتثبَّت الـذي يتابعون وينفتـح لهم باب في خدمة الدِّين.

بـإذن الله وسـيصل لهـم نصيبهـم.. وكلـه كمـا ورد عن النَّبيِّ ﷺ: «إنما الأعمال بالنِّيات وإنما لكل امرئ ما نوىٰ»[١].

---

(١) «صحيح البخاري»، (١).



بيارق الفكر
المثلَّث المدموج

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أحبَّتي حملة البيارق من المتابعين أينما كنتم وأينما حللتم تحيَّة مباركة وبعد؛

نتناول موضوعاً خاصّاً ربما يتعلق بقضايا فكريَّة وخصوصاً أنه برز لكم اجتهادات في المرحلة وفي العصر.. أولاً الحبيب أبو بكر قدَّم في المكتبة الإسلاميَّة عدداً لا بأس به من الكتب ظهرت بعناوين ملفتة وعناوين غريبة حتى أنَّ الحبيب أبو بكر يمتلك جهاز مفاهيم خاص يحتاج لمن يدخل إلى ميدانه وإلى حضرته وإلى حظيرته أن يفكَّ هذه الألفاظ وإن كان ورودها في الكتاب والسُّنَّة على نحو ظاهر.

كذلك وجدنا لكم سيِّدي بعض الأفكار الرَّئيسيَّة المركزيَّة مثل الدَّعوة إلى تجديد مفهوم القراءة، وقلتم مفهوم القراءة ثم

دعوتـم إلى تجديـد لغة الدَّعــوة، في الأولى ذكرتـم المفهوم وفي الثَّانية اللغة.

كذلـك أصَّلتـم لفقـه ناضج متكامـل تـارةً بمفاهيمـه، تـارةً بهيكليته، وتارةً بالعلوم المنبثقة عنه الذي هو فقه التَّحوُّلات المندرج فـي علم السَّـاعة، فاليوم بعد هذه المسيرة التي جـاوزت الرُّبع قرن كيف ترون الكتابات ومؤداها ومدى الانتشار المأمول لها؟

نحن نراهـا متجسِّــدة في مثـل اهتمامك، وقـد بلغت إلىٰ هــذا الحد لدىٰ من يقرأ، لدىٰ من يســمع، لدىٰ من يتفاعل معها، لدىٰ من يســاعد علىٰ إخراجها، فهذه نراها إن شاء الله دلالةً علىٰ أنَّ المســائل المطروحة كانت مبنيَّة علىٰ دراسـة مؤصَّلة مباركة أظهر الله ثمراتها.

بالطبع المسـائل المتعلِّقة بقضيَّة الفكر وما أدراك ما الفكر، تأصيل الفكر جزء من الدِّيانة، نحن وقفنا في واحد من المؤلَّفات حول مســألة علم الإحســان ذاته وعلم الإيمان وعلم الإسلام، فوضعنا مقابل الإسـلام الذِّكـر، ووضعنا مقابـل الإيمان الفكر، ووضعنا مقابل الإحسـان الشُّـكر، ففصَّلنا هذه وأصلَّنا في بعض الإشارات علىٰ اعتبار أنَّ الفكر له دور.

الإسلام ⟵ الذِّكر

الإيمان ⟵ الفكر

الإحسان ⟵ الشكر

والفكــر مقصود به هنا الوعي، والوعي هو: الاســتعدادات العقلانيَّــة التي يهبها الله ســبحانه وتعالىٰ للإنســان في مرحلة ما لحســن القراءة كمفهوم وليس حســن القراءة كمجرَّد ســرد. فإن الناس بلا شــكٍّ تقرأ لكن القراءة المبنيَّة علىٰ الوعي تحت مفهوم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

القراءة متنوِّعـــة في العالـم القراءة متنوِّعـة في الإســـلام القراءة متنوِّعـة فــي المذاهب القراءة متنوِّعـــة في المجموعات والجماعات.. كلُّهم يقرؤون لكن مســألة الفهــم هنا هذه النُّقطة التــي تحتاج إلىٰ مدلول الوعي أو إعــادة ترتيب مفهوم الفكر في القــراءة المتعلِّقة بالقرآن، وبالسُّــنَّة نحن نجد أن اســتخدام لفظة الفكــر والتَّفكُّر في القــرآن مواقـــع عظيمة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعــراف: ١٧٦، الحشــر: ٢١]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾ [هــود: ١٠٣، الحجــر: ٧٧، النَّحــل: ١١، الشُّــعراء: ٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً﴾ [آل عمـران:١٣، النُّــور:٤٤، النَّازعـات: ٢٦]، تجـد أنَّ الإشـــارة إلىٰ

ومضـات الفكر فـي القرآن مليئة، ربما ذكرنا سـابقاً أنَّ القراءات السَّـطحيَّة ذات النَّفـع التي أفـادت لكنها لـم تتعمَّـق في مفهـوم الجانـب الثَّقافيّ، أنا أعتقد أنَّ الفكر له ارتبـاط بالجانب الثَّقافيِّ ومعنـى الثَّقافيِّ الإلمام بالمحيط، الإلمـام بثقافة العصر، الإلمام بما يدور في السَّـاحة سواءً كان سياسـيَّاً أو اقتصاديَّاً أو اجتماعيَّاً أو غير ذلك من المسمَّيات التي نفهمها الآن في حياة الشُّعوب.

فنجد أنَّ للقرآن اهتمامـات لمفهوم الثَّقافة كفكر وأنَّ هذا الفكر موجود في العالـم لكن عندما ـ كما يقال ـ نؤسـلمه ونربطه بالإسـلام نجد العطاء الكبير في القرآن ونجـد العطاء الكبير في السُّنَّة ونجد العطاء الكبير في ما خدمه العلماء من التَّفرُّعات التي كتبوهـا في الجانـب الفقهيِّ، في الجانـب الحديثيِّ، في الجانب التَّفسـيريِّ، في الجانـب الصُّوفيِّ وإلى غيـر ذلك من الجوانـب المتعدِّدة.. فيساعد الفكر على إنضاجها وإحيائها وإعطائها نكهةً مناسـبةً للزَّمن وللعصر بل وحتى للمخاطبة مع العالـم الآخر أي عالم غير المسلمين.

ربمـا هنا ينبني سـؤال عنـد المتابعين أنَّ رحلاتكـم العالميَّة معـدودةٌ تـكاد تكـون ربمـا فـي شـرق آسـيا، وكان لكم تـردُّد إلى سـير لانكا بوصـف أنَّ لكـم رحـماً هنـاك ومشـاركات في بعض

المؤتمرات والملتقيات، وفي الفترة الأخيرة كان لكم رحلة إلى أوروبا وبالأخصّ فرنسا واطلعتم وكان لكم بجوار العلاج بعض المجالسات وبعض الكتابات كذلك.

كتابات سمَّيناها «مقالات باريس» خاصَّةً بالرِّحلة إلىٰ باريس وما استفدنا منه وما لاحظناه وما بنيناه حتىٰ في تجديد بعض الأمور، حتىٰ عندنا في القراءة التي نقرأها في المنزل أو في الفندق استفدنا من الرِّحلة بحكم الواقع والقراءة المباشرة إلىٰ استخلاص مرحلة الاستكبار، وكانت مرحلة الاستكبار غير موجودة في التَّقسيم المتعلِّق بفقه التَّحوُّلات لكن عرفنا من خلال الاحتكاك بالآخرين والمراجعة المباشرة داخل أوروبا أنه يوجد مرحلة اسمها الاستكبار ووضعناها أوَّل مراحل الأحلاس التي تكلَّم عنها النَّبي ﷺ وقسَّمنا الأحلاس إلىٰ قسمين استكبار واستظهار[1]، وكان هذا من بركة زيارتنا إلىٰ تلك البلاد.

ربما الرِّحلات محدودة بين فرنسا وبين سيرلانكا، وربما رحلة إلى كينيا، لكن أغلب إقامتكم وتواجدكم بين عدن والحجاز

---

(١) انظر: «النبذة الصغرىٰ لمعرفة الركن الرابع من أركان الدين وعلاماته الكبرىٰ والوسطىٰ والصغرىٰ»، للحبيب أبي بكر العدني ابن علي المشهور، ص ٤٨.

(جـدَّة)، فمـن أين ظهرت هـذه الملكات الفكريَّة وهـذا العمق في النَّظر والدَّعوة إلى هذه المفاهيم التي ربما اليوم أتوقَّع أنه بدأ العالم ينتبه إليها وبدأ يحتاج إليها؟

الحياة التي عشـناها أوَّلاً في بلدنا اليمن ثم في غير اليمن، والأمر الثَّاني أسـلوب التَّربية التي تربَّيناها؛ وهي تربية الدِّيانة عن طريق المشيخة عن طريق العلماء، ثم الأخذ بنصيب من الدِّراسة الأكاديميَّة والنَّظر للجامعات والمحاضرين بل والمحاضرات وما إلىٰ ذلك فيما يدور في المـدارس العصريَّة والألفاظ والمواقف والتَّحديَّات التي سـمعناها بحكم أننا نحن نعيش ضمن مدرسـة وعندنا إحساس بأسرتنا وآباءنا وأهلنا كانوا هم جزءاً ممن يتحمل مهمَّة المدرسـة المرتبطة بالتَّسلسـل المنهجيِّ المرتبط بالوسطيَّة الشَّرعيَّة والاعتدال الواعي وإلىٰ غير ذلك من المسمَّيات التي لم تكن تدرك بهذا المعنىٰ.

عندنـا مثـلاً المدرسـة العلويَّة حتـىٰ لفظ المدرسـة ربما تكون مسـتقبحة ومسـتنكرة داخل منهجنا لكن عندما تفاعلنا مع المسـمَّيات الحديثة التي أخذناها من الجانب الأكاديميِّ والعمق في القراءة مما قرأناه أولاً من سـابق المعرفة العلميَّة ثم ما أخذناه من لاحـق المعرفة فـي مجالس مشـايخنا وخاصَّـةً لما دخلت

الجامعة هنا وخاصَّةً أنها مرحلة كانت صعبة، مرحلة فعلاً شديدة الاحمرار، كانت مسألة شديدة جداً وكان حتىٰ لنا مناقشات فكريَّة مع بعض الرُّوس الذين كان لهم دور في الإِشراف التَّعليميِّ وقبلها كان نقاش مع الألمان الذي كان لهم دور في وضع منهجة بلوتكنيك وأنا كنت في المناهج فعرفت أنَّ المسألة فيها خطورة علىٰ الإسلام، فمن فضل الله وكرم الله مع الاستمرار بدأت أشعر أننا نحن في حاجة إلىٰ إعادة تأصيل لهذه المنهجيَّة التي تمسخ كلَّ يوم بطريقة أو بأخرىٰ فبدأت هنا عندي عدة مقالات كتبتها عندنا في اليمن قبل السَّفر ومنها لباب الفكر منها سياحة نفسيَّة في رسائل الإمام الغزاليِّ فيها كتب كتبناها وقصائد شعريَّة وثقت نوع الصِّراع الذي أوجدناه ضد الدِّيانة وضدّ الإسلام.

وبدأت أشير حتىٰ في أحد زعماء اليمن في الفترة الحمراء كان له كتاب اسمه «الكتاب السَّيف» وكان يتكلَّم باللفظة علىٰ أصحاب النَّبيِّ ﷺ علىٰ اعتبار أنها رؤية ارستقراطيَّة، وقسم الصَّحابة إلىٰ قسمين ارستقراطيَّة وكذلك ما سمَّاها بالاشتراكيَّة وهذا وزِّع في الجامعة وأحدث جدلاً، فأنا جمعت منظومة أو بمعنىٰ آخر قصيدة من التَّفعيلة حول كتاب السَّيف والردِّ علىٰ هذه المفاهيم وكيف أحاول قدر الإمكان أن أدخل في عمق

الفكر الذي يتكلَّم عنه كفكر غريب عن العالم العربيِّ والإسلاميِّ وكيف لملمت أفكار الأمّة الإسلاميَّة من خلال الإسلام والإيمان والإحسان قبل ما أعرف التَّحوُّلات وفقه التَّحوُّلات وأين المخرج وأين المدخل وأين العلاج وأين الرَّدُّ، فسبحان الله مع المدىٰ ومع قراءتنا في كتب الحديث ـ وهذه لها قصَّة لوحدها ـ قراءة كتب الحديث كانت هي السَّبب الذي فجَّر عندي طاقات الرُّؤية الفكريَّة، قراءة كتب الحديث في مجلس الحبيب عبد القادر السَّقَّاف، وقد كانت مجالسنا هي عبارة عن نفس المجالس المألوفة في كلِّ مكان لكن أجرىٰ الله أسباب أنها جاءت جهات معيَّنة وأوقفت الدرس باعتبار أنَّ الكتب المقروءة ليست مرضيّ عنها في كلِّ الأحوال، فأشار الحبيب وقال: آتونا بكتاب البخاريِّ فقرأنا البخاريَّ، فصار الكتاب يحمل صفة العالميَّة ومن يحضر يحضر، ففرغنا من البخاريِّ ثم بعد ذلك مسلم ثم قرئ النَّسائي ثم قرئ ابن ماجه ثم أعدنا البخاريّ ثم أعيد مسلم وإذا بنا نجد داخل هذه أوَّل أسانيد وإجازات جديدة كان الحبيب يدعو إليها الناس ويحضر فيها العلماء والمحدِّثون وبالطبع نحن نعتقد أنَّ الإجازات هذه والأسانيد كان لها دور في تفجير الطَّاقات لأنها عبارة عن مفاتيح للمعرفة ومفاتيح العلم بإذن؛ لأن العالم يدرِّس الأسانيد كدراسة ويدرِّس الحديث كدراسة لكن أحياناً يكون من

غير إذن من غير أن يكون لدى الإنسـان مفتاح هذا السِّرِّ الموجود ضمن العلم لأن العلم له صورة وله حقيقة فالحقيقة صعب جداً أن تجدها إلا من أهلها أما الصُّورة متوفِّرة.

هنا يأتي سؤال جريء في موضوع الفكر لماذا نجد كمتابعين للحبيب أبو بكر ونشاطه أنه لا يشارك في المؤتمرات والملتقيات بل يحرص دائماً على المؤتمرات الضَّيقة والملتقيات المغلقة في دائرة طلابه وأحبابه وربما المدرسة؟

هو لأجل إعادة الصِّياغة حسب ما أتوقع من جديد كون المؤتمرات التي يحضروها النـاس أو إذا صحَّت العبارة بمعنى آخر مؤامرات يحضرها الناس هي عبارة عن تحصيل حاصل، شيء يكون تبع جهات معينة، وحيناً تشرف عليه جهات رسميَّة للأسف، والجهات الرَّسميَّة معذورة لأنها لا تستطيع أن تملك أمرها في وضع قرارات المعرفة والعلم لأنها ضمن أطر معيَّنة ودوائر محدَّدة، فلذلك كنا نرى أنَّ صياغة العلم من خلال فقه التَّحوُّلات يقتضي عدم المشاركة في هذه الأمور حيث أنَّ هناك علماء قد ملؤوا الفراغ فنريد ماذا سيخرجون بهذه المؤتمرات التي مرَّت عليها شهور بل ومرَّت مراحل لم نرى حلّ بل ربما رأينا أزمات لم تحلّ مشكلة داخل المؤتمر ذاته.

أنـا حضرت مؤتمراً في مكة مع جهات رسـمـيَّة من اليمن وعندما حضرت واسـتمعت للكلام الذي يدور والأساليب التي يتحدَّث بها الجميع واختلط الحابل بالنَّابل من خلال ما سـمعت من حملة القـرار في العلم وحملة القرار فـي الحكم وإذا العالم يتخبَّـط ويختلـط بطريقة غريبة لـم أألفها ولم أرتـاح إليها، فلما خرجت بدأت أكتب أصول كتاب «تجديد لغة الإسـلام العالميَّة» أنَّ هـذه الجهـات المتعلِّقة بالحكـم والجهـات المتعلِّقة بالعلم تتكلَّم عن شـيء لا تملك قراره.. نحن نعيش في فقدان قرار ولا يتحقَّق الاستقرار إلا بقرار فلا بدَّ أن نبحث أولاً عن عوامل القرار الـذي ننطلق منه كانـوا حكاماً أو كانوا علماء أما الشُّـعوب فهم ضحايا في كل المراحل.

فبدأت هذه الفكرة تنضـج حتىٰ أظهـر الله بطريق أو بآخـر فقـه التَّحـوُّلات فكان سـبحان الله مدخل عجيب لقـراءة الواقع فيما هو فيه في الجانب السِّياسـيِّ، الجانب الاقتصاديِّ، الجانب التَّعليميِّ، الجانب الفكريِّ، الجانب التَّربويّ، الجانب الإعلاميّ إلىٰ غير ذلك.. وإذا بنا وجدنا أمور تنفتح سبحان الله في الجانب الفكريِّ مع الاسـتمراريَّة ومع تصحيح ما نخطئ أحياناً في بعض التَّصورات بدأت الأمور تنضج.

وكما ترىٰ الآن أنت أحد القـرَّاء وأحد المتفقِّهين في هذه المعرفة والعلم فبارك الله فيك وفي كلِّ من يرغب في أن يفعل الخير؛ لأن هناك حديثاً هو الـذي بنينا عليه الاعتماد في هذه المسألة حديث قول النَّبي ﷺ ـ بأكثر من رواية ـ: «إذا لعن آخر هذه الأمة أوَّلها ـ هذه علامة ومظهر ـ فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل علىٰ محمَّد ﷺ»[1].

إذا كان الـذي أنزل علىٰ محمَّد ﷺ كلُّ العلماء يدرسـونه ويوجد جامعات ويوجد شهادات عُليا ويوجد متخصصون فما الذي سيظهر من جديد إن لم يكن هناك علم مخبوء في الكتاب والسُّنَّة؟! «فمن كان عنده علم فليظهره» فرأينا أنَّ هذا شاهد مهم لأجل نظهر هذا العلم أيضاً أظهرنا هذا العلم للاختبار وللملاحظة وللمناقشة لأرىٰ الناس فيه إن كان فعلاً مرتبطاً بالكتاب والسُّنَّة ولخدمتها، فبلاشك الإشارة في الإظهار مطلوبة وإن كان هذا العلم مجرَّد شيء مما لا يليق بما قد سبق العلماء وصاغوه وكتبوه يكتب له الموت وينتهي بانتهاء الأفكار التي وضعها صاحبها

(١) «المعجم الأوسط»، (٤٣٠). وانظر: «سنن ابن ماجه»، (٢٦٢)، و«السنن الواردة في الفتن»، للداني (٩٩٤).

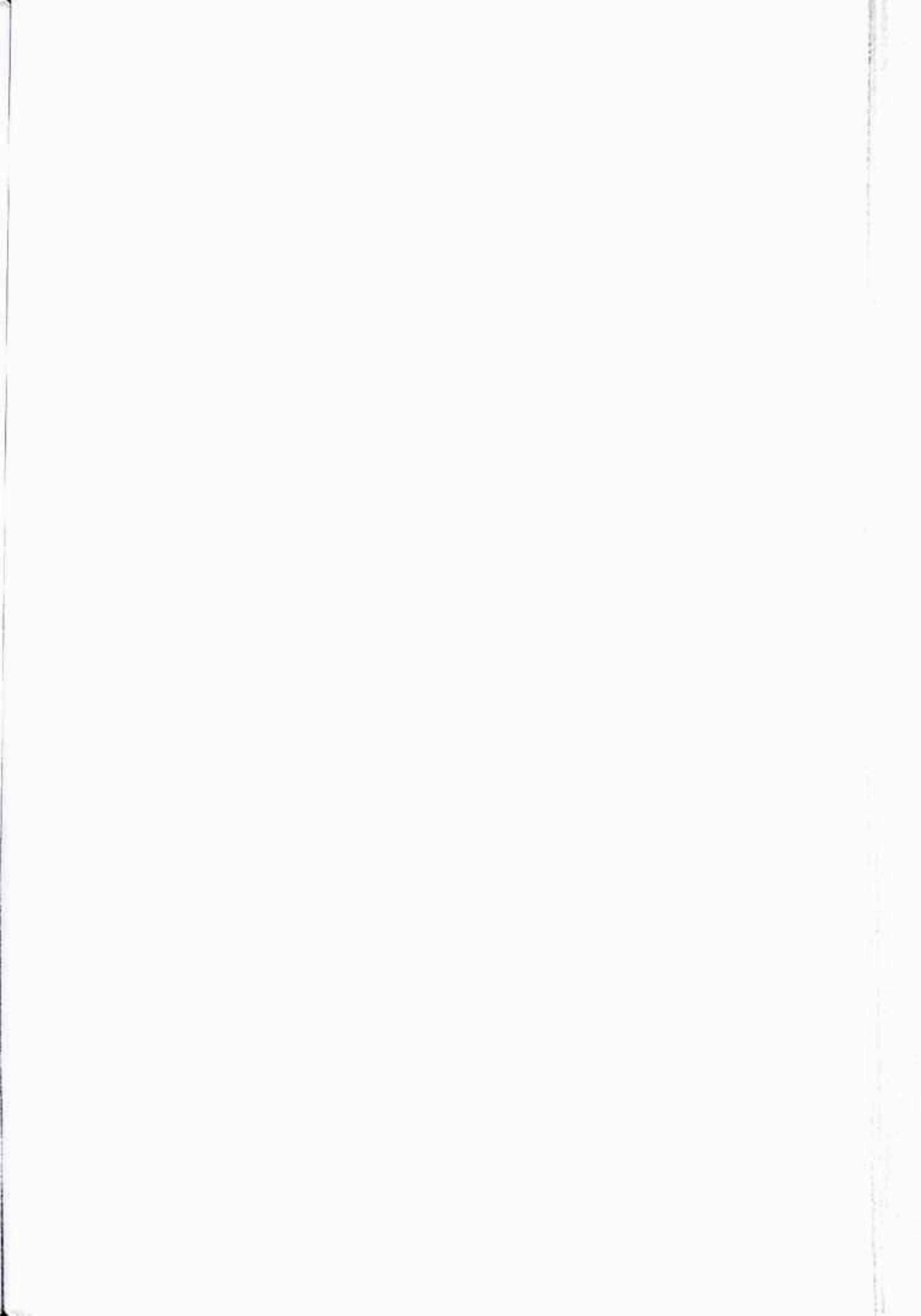
لكن وجدنا فعلاً أنَّ هناك تهيئةً عجيبةً في إظهار العلم والنَّفع بهذا العلم وبدأ يتفرَّع.

أنت الآن تخاطبني في حلقات لم تعد في فقه التَّحوُّلات بل ليس في تطبيقات فقه التَّحوُّلات بل إلى أحد رموز الفقه (المسألة الرَّمزيَّة في الفقه) وهذا يعتبر درجة ثالثة أو رابعة في المعرفة ولعلها أن تفتح مراتب جديدة في هذه المعرفة المتعلِّقة بهذا الشَّأن من خلال هذا الفقه لكن الشَّرط الأساسيّ في تعمُّق المسألة إعادة القراءة كما قلنا من خلال توسُّع الفهم وهذه القراءة تحتاج إلى شيء من التَّأني وكما هو معروف أنه لا قراءة إلا بعبادة لا بد وجود نموذج من نماذج العبادة يستخير الإنسان مولاه يصلِّي صلاة الحاجة يكثر من الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ يقف في محراب الطَّاعة يستسلم لله تعالى أنه هو المعطي وبعد ذلك تأتي الأمور شيئاً فشيئاً فتظهر هذه المسائل.

وأنا اعتقد أنَّ هذا العلم هو جزء من العلم الذي يتكلم به النَّبي ﷺ قبل ألف وزيادة من السِّنين ليس جديداً اللهم أنه مادة خامة كما يقولون تحتاج إلى إبراز وإلى إظهار، فالجانب المتعلِّق بالقراءة شيء والجانب الآخر الذي تكلَّمتم عنه المتعلِّق بتجديد اللُّغة ـ كلمة اللُّغة إذا كان هناك فهم ـ إذن لا بدَّ أن يستجد

مقابلها لغة، واللُّغة هـي طريقة التَّفاهم كيف تتفاهم مع الآخرين بلغةجديـدة، اللُّغة الجديـدة لا تأتي بها من ذهنك ولا من ترجمة اللُّغات الموجودة في سـاحة الحركـة مثل لغة التِّجارة الموجودة كاللُّغة الإنجليزيَّة أو اللُّغة الفرنسيَّة أو اللُّغات العالميَّة ولكن يجب أن تنبع من الكتاب والسُّنَّة، إذن ففي القرآن وفي السُّنَّة تجديد لغة تتناسب مع فقه التَّحوُّلات وتطبيقاته مرتبطاً ببقيَّة الأركان الثَّلاثة.

هـذه مسـيرة ممتـدَّة من واقع مرحلـة الاسـتنفار إلى مرحلة الاسـتقرار فيمـا يمكن إنقاذه فـي هـذه المرحلة مـن عمر الزَّمن.. وصلَّى الله وبارك على سـيِّدنا مُحمَّد وعلى آلـه وأصحابه أجمعين والحمد لله ربِّ العالمين.



بيارق الوراثة
الإمامة ورجال العدالة

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا مُحمَّد مُزكِّي الأمَّة ومُغذِّي أرواحها إمامها وقائدها وقدوتها وعلى آله وصحبه وأهل ورثته في كلِّ عصر وفي كلِّ زمن مصداقاً لما أرسل الله به نبيَّه من تلاوة الآيات والحكمة وتعليم الكتاب والتَّزكية لعموم الأمَّة وخواصِّها وبعد؛

سيِّدي ندخل إلى الموضوع مباشرةً وهو في مستهلِّ الكلمة عن شخصيَّة الوراثة النَّبويَّة خصوصاً أنكم أبناء مدرسة أصيلة تنعقد فيها الألوية جيلاً بعد جيل، حتى الذي ينظر إلى طلعتكم النّورانيَّة وسمتكم النّورانيّ يجد أنَّ كلَّ ما يكتنف هذه الذَّات هو مظهر وراثة ابتداءً بالعمامة المباركة ـ ولاشك أنَّ مشايخكم ألبسوكم إياها ـ وهذا الرِّداء النَّبويُّ الذي يتمثَّل من عصر النُّبوَّة بالرِّوايات إلى يومنا هذا، والخاتم الذي تتختمون به.. أجد أنَّ الصُّورة وما وراءها هي وراثة بحدِّ ذاتها إن كان فهمي بهذا الشَّكل صحيحاً.

نقول اللهم آمين لأن الوراثة شـأنها عظيم والإنسـان يأمل أن يجعله الله سـبحانه وتعالىٰ من الورَّاث، ويعرف الإنسان ذلك كمـا وصفتم وذكرتـم بالطبع من خلال من يجالسـهم، والوراثة هـي نصيب هذه الأمَّة بل نصيب كلِّ أمَّـة من أنبيائها.. ما من نبيٍّ إلا وهنـاك من يرثه من أتباعه علىٰ مراتبهم قـد يكون الحواريِّين وقـد يكون الصَّحابة وقد يكون التَّابعيـن وقد يكون تابع التَّابعين وهذا هو السِّرُّ المنتقل من جيل إلىٰ جيل بمفهوم الوراثة حتىٰ في حديث هناك: «يرث هذا العلم..»[1] لاحظ الإشارة إلىٰ ماذا يشير النَّبيّ ﷺ؟ «هذا العلم» أيُّ علم يتكلَّم عنه النَّبيّ ﷺ بالإشارة، قد يكـون الناس يـرون كلَّ هذا العلم لكن يقـول: «يرث هذا العلم» العلم الآن منتشر في العدول وفي غير العدول إذن معنىٰ ذلك أنه يتكلَّم بالإشارة عن شيء محدَّد.

ما هو هذا الشيء المحدَّد؟

الشيء المحدَّد كلُّ علم ارتبط بسرِّ الوراثة، وليست الوراثة المتعلِّقة بالعِرق ولكن المتعلِّقة بالسَّـند والعدالة وللعِرق مكانة، خاصَّـةً في أهل البيت أو من ارتبط بهم أو من أخذ عنهم، فتكون

---

(١) «السنن الكبرىٰ»، للبيهقي (٢٠٩١١).

الوراثة كما عرفتها من خلال دراستنا لعلمين علم الإحسان في النَّظر للشُّيوخ والأخذ عنهم وليس للقراءة المجرَّدة، والأمر الثَّاني من خلال الغوص في فقه التَّحوُّلات الذي عرّفنا شرف قيمة الحصانة عند الرِّجال وشرف البشارة عند كثير من الرِّجال وشرف رجال بلغوا مراتب في الدُّنيا والآخرة بلفظة خرجت من لسان النَّبي ﷺ خلال مواجهة أو خلال حادثة أو خلال سبب من الأسباب، فعرفنا أنَّ هناك علماً آخر غير العلم الذي تحكم به الناس على بعضها البعض من خلال قراءة فقه الوراثة في دين الإسلام حيث قال: «يحمل هذا الدِّين» أو«يرث هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين»[1].

وهذا الناس تفسِّره بتفاسير متعدِّدة لكن في علم الوراثة له شأن خاصٌّ وله فقه خاصٌّ وله تفصيل خاص.

هذه الأوعية من حيث مدخلاتها ومخرجاتها نجد اليوم مدرستين.. جنابكم عبَّرتم عنها في الكتابات: المدرسة الأبويَّة والمدرسة الأنويَّة، أو بمعنى آخر هنالك مدارس أصيلة تقليديَّة

---

(١) سبق تخريجه.

فيها توريث وهنالك مدارس معاصرة، ربما أوجدها الاستعمار ورافقت مراحل في عصر الغثائيَّة في الأمَّة.

اقترحتم عمليَّاً مشروع أربطة التَّربيَّة الإسلاميَّة للمزاوجة بين نتاجات الدِّراسات العصريَّة وكذلك الحصانة بعلوم الوراثة.

ابتداءً ولا أريد أن أتكلَّم عن المدرسة المعاصرة بل أريد أن أتكلَّم عن المدرسة الأصيلة ما هي المشاكل أو جوانب القصور التي رأيتموها في المدرسة الأصيلة اليوم؟

أولاً نبدأ بالموضوع المتعلِّق بمفهوم الأبويَّة والأنويَّة هي مسألة مهمَّة جداً لأنها أساس.

المدرسة الأبويَّة المرتبطة بالأنبياء ومن أخذ عنهم ومن ارتبط بهم إلىٰ يوم الدِّين هذه مدرسة أبويَّة نبويَّة.

المدرسة الأنويَّة مرتبطة بموقف إبليس منذ ساعة أمره بالسُّجود فقد جاءت مدرسة خاصَّة وُضعت لها القواعد وأُصلِّت من أمام الحقِّ سبحانه وتعالىٰ لما قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢] تكوَّنت مدرسة، هذه المدرسة نقلها إبليس إلىٰ البشريَّة عن طريق قابيل قال: أنا خير منه، أنا خير من هابيل، فانتقلت كعلَّة وكمرض له أُسسه وله قواعده وجسَّدها في الفعل قابيل، وانتشرت في العالم

مـن بعـد ذلك حتىٰ بعد طوفان نـوح بحكم أنَّ ذريَّـة قابيل أغلبها ذهبت لكن لم يذهب إبليس رائد المدرسة، فأعاد النَّظر مرَّةً أخرىٰ في الشُّعوب، مرَّةً أخرىٰ في البشريَّة الثَّانية كما تسمَّىٰ ووضع فيها سرّ الأنويَّة الشَّيطانيّ واستمرَّت في هذا العالم.

عندما أرىٰ الآن المـدارس الحديثة ـ أنا لا أقول المدارس الحديثة أنويَّة ـ وهي عبارة عن مدارس جاءت في مراحل تحتاج إليهـا الناس، وتـكاد أن تكون كلّ المـدارس ذات نفع، اللهم أنه يوجـد هناك في مشـكلة أو علَّة أنهـا لـم تربط بالمسـبِّب وإنما صارت سبب، فتجد كلّ الناس ترتبط باللُّغات، ترتبط بالاختراع، ترتبط بالاكتشـاف.. وكأنه غاية وهو ليس بغاية هو وسـيلة، لكن الدِّراسـة الأبويَّة تربط أولاً الإنسـان بالمسـبِّب، أوَّلاً بالخالق ثم تجعل السَّبب مجرَّد وسيلة من الوسائل.

انظـــر الآن مثلاً النَّظـرة الماديَّة في العالم لتفسـير الحيـاة والكـون تجد أنَّ كبار المفكِّرين من أمثال الملحدين الكبار أمثال ليليستاني ـ بحكم أنَّ اليمن كان لتلاميذها وأبنائها دور في معرفة هـذا الفكر ويرونه كان حلًّا ـ كانوا ينظرون إلىٰ الحياة نظرة ماديَّة وهي محدودة.

عندما جئنا ندرس فقه التَّحوُّلات وننظر للنَّظرة الأبويَّة الشَّرعيَّة في علم الوراثة لهذا الدِّين وجدنا أنَّ دين الإسلام لا يتكلَّم عن مرحلة الأجل والأمل والكلام الذي يتكلَّم فيه العالم الغربيُّ والعالم الملحد والعالم الكافر والعقلانيَّة التي يتكلَّمون عنها، فهؤلاء قد أسرُّوا أنفسهم ضمن إطار المادَّة الدُّنيويَّة التي يعيشونها ويرونها بأعينهم ويحكموها بعقولهم وقد قال فيها الحق سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]، هذه الغشاوات لانعدام الوراثات جزء منها بالكفر وهي مدرسة إبليس وجزء منها في المسلمين فيما أصيبوا فيه من داء العلمنة أي بمعنى التَّأثُّر بالعالم الغربيِّ، فحجب عنهم حقيقة النَّظر للمسبِّب، ولهذا انعدمت عنهم طريقة الوراثة حتى كرهوا الإجازات الشَّرعيَّة كرهوا المشيخة، كرهوا الارتباط بأولياء الله، بل حتى صاروا في مرحلة من المراحل ينظرون إليهم بأنهم علَّة من العلل التي يجب اجتثاثها من الأرض.

سيِّدي هذه المشكلة في المدرسة الحديثة بانفصال السَّبب عن المسبِّب في الرُّؤية والتَّطبيق لكن اليوم كمدارس شرعيَّة وكمدارس سند وكمدارس وراثة منتشرة في العالم الإسلاميّ أين المشكلة فيها؟

المشكلة في ضعف القراءة المتعلِّقة بالأزمنة والتَّحوُّل والتَّغير.

القرآن ليس كتاباً لعصر واحد، السُّنَّة لم تكتب لعصر واحد، فالعلماء وجزاهم الله خيراً كلّ منهم وضع منهجاً ووضع مذهباً، وبعضهم وضع رؤية فظن أنها بديل فمثلاً الصُّوفيَّة: اعتقد بعض الصَّوفيَّة أنَّ الصُّوفيَّة بديل عن الإسلام، والصُّوفيَّة علاج وليست حلًّا، الصُّوفيَّة كانت علاجاً لمرحلة. من وضعها؟ وضعها الإمام الحسن بن عليّ، ليست كما تقرأ في كتب المستشرقين أو كتب الباحثين عن الصُّوفيَّة، هي وضعها الإمام حسن لأن كلمة التَّصوُّف هو الزُّهد في القرار قبل أن يكون الكلام في اللِّباس والشَّكل والرُّسومات أو التَّرسُّمات..فالتَّصوُّف هو زهد في قرار لا يريد أن يحكم، لا يريد أن يؤثِّر في مواقع التَّفصيل لسبب معين مبنيٌّ علىٰ قراءة واعية للنُّصوص ومبنيٌّ علىٰ قراءة واعية لمراد الله في الأرض.

وأوَّل من وضع هذا الإطار سيِّدنا عليٌّ رضي الله تعالىٰ عنه عندما كان الكثير ولا زال الكثير يرشِّحونه للخلافة من أوَّل لحظة هو زهد فيها، إذن هو أوَّل واضع لأسلوب التَّصوُّف العمليّ بعد النَّبيّ مُحمَّد ﷺ ثم تسلسل ذلك في ولده لأن مرحلة آل البيت:

مرحلة الإمام عليّ ومرحلة الإمام الحسن حكموا أهل البيت في هذه المرحلة فأخذوا درساً كاملاً أمامهم فيما يدور وفيما دار وفيما سيدور، فوضعوا أسس أسلوب الوراثة، وفي هذه اللَّفظة يقول فيها الإمام الحسن يخاطب أخاه الحسين قبل وفاته يقول: أرىٰ ألا تجتمع لنا الخلافة والنُّبوَّة. فالصِّراع الذي يدور حول الكرسيِّ رأىٰ أنه يُفقد الوراثة أما بقاء النُّبوَّة فبقاء الوراثة.

إذن فنحن نختار في أن نبدأ ندخل في الصِّراع حول مسألة الخلافة والحكم ومن يحكم أو نحافظ علىٰ الميراث الذي تركه النَّبي ﷺ خالياً عن التَّسييس لأنه موجود في الحكم، وسياسة الحكم العلم والدِّين والكتاب والسُّنَّة ودعاوىٰ كثيرة لكنها مجرَّدة عن حقيقة الوراثة، ولاحظ عن حقيقة الوراثة وليس عن الوراثة، حقيقة الوراثة لها معنىٰ فلذلك حافظ عليه الإمام الحسن وتنازل عن الحكم ودرس الوضع دراسة علميَّة شرعيَّة «الخلافة بعدي ثلاثون سنةً ثم تكون ملكاً»[١] مباشرة انتهت الثَّلاثون عاماً قال: خذوا الخلافة لأنها لم تعد خلافةً، صارت ملكاً عضوضاً، وهذه دلالة علىٰ رقيِّ الرُّؤية أو القراءة عرفت معرفة الزَّمن ولغة العصر،

---

(١) «صحيح ابن حبان»، (٦٩٤٣).

ولذلك نجد أنَّ هذا نموذج من نماذج القراءة التي تحتاج الآن في طرق الصُّوفيَّة في المذاهب الإسلاميَّة في المجموعات المتنازعة فيما أنتج لنا الآن الصِّراع الطَّائفيُّ، الصِّراع الاعتقاديُّ، الصِّراع الاجتماعيُّ. يوجد صراعات موجودة ضمن أطر علماء بل يكاد يكون في مرحلة من المراحل كان المذهب الحنفيُّ يكره أن يرىٰ صاحب المذهب الشَّافعيّ، وهذا موجود في كتبهم للأسف نتيجة المنافسة والتَّحريش.

فلذلك تحتاج طرق الصُّوفيَّة ويحتاج علم المذهبيَّة ويحتاج حبّ أهل البيت إلىٰ إعادة ترتيب وقراءة لأجل ربط العلوم الشَّرعيَّة والذَّوقيَّة كلها بمفهوم علم الوراثة الذي تكلَّم عنه الوارثون علىٰ هذا المعنىٰ، وهذه الدِّراسة عندما نضمُّها من فقه التَّحوُّلات إلىٰ بقيَّة المسألة نسمِّيها دراسةً قراءةً رباعيَّة الأركان، لاحظ أنَّ مسألة الرُّكنيَّة مهمَّة ذات أهميَّة كبيرة، المسألة ليست مبنيَّةً علىٰ اختيارات هي مبنيَّة علىٰ إعادة ركن.

الآن تلتقي مع بعض المشايخ أو بعض العلماء نضيِّع وقتنا في المناقشات حول بعض الإشكالات الموجودة عند الصُّوفيَّة ترسماتهم تسأله تقول له: أأنت تريد أن تقيم حقًّا كم أركان الدِّين؟ تجد أنَّ أركان الدِّين التي يتكلَّم عنها ومن خلالها ومتَّخذ

منها الموقف ثلاثة! الذي وضعها النَّبيُّ ﷺ أربعة، إذن دعنا نتكلَّم عن أصل بديـل، أنَّ نتكلَّم عن صراع فرعيِّ، فالصِّراع الفرعيُّ لم يوجد حلّ لا عند السَّلفيَّة ولا عند الصُّوفيَّة ولا عند الشِّيعة ولا عند السُّنَّة، وانظر إلىٰ العالم العربيِّ والإسلاميِّ كيف بلغوا فيه إلىٰ الدَّم والذَّمِّ.

إذن نحن نحتاج إلىٰ من ينقذنا وليس لنا منقذ لا من الغربيِّ ولا من العالم الشَّرقيِّ ولا من العالـم التَّوليفيِّ، نحن محتاجين إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، لن يصلـح أمر آخر هذه الأمَّة إلا بما صلح به أولها ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّساء: ٥٩]، الله الكتاب والرَّسول السُّنَّة، وإذا بنا نجد الحلول واضحةً لكن بعمق الدِّراسة وبعمق القراءة.

ما أحوجنا إلى ذلك.. إذن أحبَّتي هذا موضوعنا في بيرق التَّربية والتَّزكية والتَّصفية ضمن مشروع النَّظر المتوازن لمدخلات المرحلة ومخرجاتها ما أحوجنا أن نتنبه إلى هذا. والحمد لله ربِّ العالمين.

بيارق الاكتفاء الذَّاتي
حلُّ المشكلة الاقتصادية

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا مُحمَّد الـذي أخبرنا «إذا رأيت شـحَّاً مطاعـاً، وهوى متَّبعـاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه، فعليك بخاصَّة نفسك ودع العوام»[(١)] وعلـى آله وصحبـه المتَّصلين بدعوته وسـنَّته وأمَّته إلـى يوم الدِّين وبعد؛

سـيِّدي مجلَّـة الخويصـة تصـدر عـن الموجِّه العـام لأربطة التَّربية الإسلاميَّة ومراكزها التَّعليميَّة والمهنيَّة والمنتديات الثَّقافيَّة.

فـي صفحة ٢٩ مقـال في غاية الاسـتغراب ـ لمن لـم يتعوَّد النَّقـد الذَّاتيِّ داخـل المدارس ـ خواطر أتعب مـا يعانيه المربِّي في تنفيـذ ما يبني كلمـات من القلب تصدر عن تنفيذ العمل المشـترك

---

(١) «سـنن أبي داود»، (٤٣٤١)، و«سـنن الترمذي»، (٣٠٥٨)، و«سـنن ابن ماجه»، (٤٠١٤).

لأهداف أربعة: تربية، تعليم، دعوة إلى الله، واكتفاء ذاتيٌّ في هذا الطَّرح.

كأنه من سنوات كان لكم توجيه إلى الأربطة والمراكز أن يعتنوا بجوار التَّعليم والعمل المهنيِّ والتَّشكيل والتَّكوين إلى أن يزرعوا شيء من الخضار والحبوب الموسميَّة بأيدي المدرِّسين والطُّلاب معاً على صفة لجان مؤديَّة لهذه الأنشطة الزِّراعية، وأنَّ هذه تؤثر في الاكتفاء الذاتيِّ للطَّلبة المقيمين في هذه الأربطة، والتَّأخُّر الذي مرَّ والتَّبرير الذي حصل ليس سببه فقط دائرة الأربطة والخويصة وإنما هي علَّة في العصر بسبب المرحلة وبسبب الزَّمن.

نعم هذا الكلام صحيح وهذا الذي حصل، الحقيقة أنَّ مسألة الاكتفاء الذاتيِّ هو جزء من الدِّيانة بل حتىٰ لفظة الخويصة واختيار الخويصة وقول النَّبي ﷺ «فعليك بخاصَّة نفسك»[1] ترجع إلىٰ مسألة مهمَّة وإن كان ضمن مفهوم الاكتفاء الذَّاتي.

الحبيب ﷺ له خويصة وستظلُّ هذه الخويصة متسلسلة مستمرَّة إلىٰ آخر الزَّمان فعندما نكون نتكلَّم عن الخويصة أي: نتكلَّم عن خصوصيَّات عودة الإنسان إلىٰ نفس النَّبي ﷺ إلىٰ

---

(١) سبق تخريجه.

خويصة النَّبي ﷺ ذاته الـذي كان حريصاً علىٰ أن يوجد الاكتفاء الذَّاتيَّ في أصحابه وأقام الثَّلاث أركان الشَّرعيَّة وأقام التَّربية وأقام التَّعليـم عليه أفضل الصَّلاة والسَّـلام، وكوَّن هـذا الأمر المتعلِّق ببناء الأمم والشُّـعوب فالعودة إليه ـ الخويصة ـ أي الرُّجوع إلىٰ خاصيَّة الرَّسول في بنائه للشُّـعوب وفي بنائه للأمَّة، وإن كان في آخـر الزَّمان نقول له ارجع للخويصة لأن صوتك سـيكون متغلَّباً عليه بخصوصيَّات أخرىٰ شـيطانيَّة توليفيَّة إلىٰ غير ذلك مما تراه في هذه الأزمنة فالعود إلىٰ كلام النَّبيّ ﷺ.

الخويصـة ليسـت فقـط أعـود إلىٰ أصدقائـي وأصحابي فعلاقـة الناس متنوِّعـة لكن العودة إلىٰ ما نظم بـه النَّبيُّ ﷺ هذه المجموعات في ساعة من ساعات الحرج، وهي ساعة العود إلىٰ مفهوم الخويصة.

ولهـذا تجد علم التَّحوُّلات كـان علـم خويصة، كان علماً خاصَّـاً، كان محدوداً في أناس لا يقدرون أن يتكلَّمون به، وكلَّما أراد أن يبلغ هذا العلم يحسب ألف حساب لزمانه لمكانه للبشريَّة التي يعيشـها، لرجال القرار في الحكـم، لرجال القرار في العلم، فلذلك المسألة المتعلِّقة بالاكتفاء الذَّاتيِّ هي واحدة من المسائل التي ينادَىٰ بها مفهوم الخويصة الذي يربِّيهم ويعلِّمهم.

وتتَّسع مجال الخويصة حتىٰ تقول أهل الزَّمن الذي يسمعوني، في هذه الحالة من يرغب تريد أن تدخل في الخويصة تفضَّل فإن الخويصة هذه توجيه نبويٌّ لإخراج الأمَّة من الإحراج الاقتصاديِّ ومن الإحراج الاعتقاديِّ ومن كلِّ المحرجات أو سمِّيها المخرجات التي جاءت من الخارج علىٰ أمَّة مُحمَّد التي ليس لها مخرج ولا مخلص إلا بهذا أن يرجع الناس إلىٰ بناء الاقتصاد الذَّاتيِّ.

والاقتصاد الذَّاتيُّ في العالم العربيِّ والإسلاميِّ معتمد علىٰ مسألتين، علىٰ الزِّراعة وعلىٰ مخرجات الزِّراعة، حتىٰ الجانب الصِّناعيُّ يجب أن يوظَّف في الجانب الزِّراعي هذا؛ لأن العالم العربيّ والإسلاميّ علىٰ هذه الصِّفة بقيَّة النَّشاطات الأخرىٰ أو المسائل الأخرىٰ تكميليَّة، حتىٰ صناعة البترول أو غيرها من الصِّناعات هي تكميليَّة، لكن بناء الأمة الإسلاميَّة في حياتها الشَّرعيَّة من حيث بناء الشُّعوب والمحافظة علىٰ كيانها يرجع إلىٰ مسألة الزِّراعة والاهتمام بها وإلىٰ مسألة الصِّناعة التَّحويليَّة من الزِّراعة.. كلُّ منتجات الزِّراعة كيف تتحوَّل إلىٰ تصنيع، بهذا تبقىٰ الأمَّة ثابتةً ليس كذلك انظر كيف تعيش الأمَّة في سياسة الاستيراد والتَّصدير والضَّعف اليوميِّ وعدم القدرة علىٰ الإنتاج حتىٰ صارت الأمَّة أمَّة استهلاك.

لاحظـت لكـم فـي كتاب «النّبـذة الصُّغرى» ـ ولعلّـه من أوّل الكتـب التـي ينتبه إليها فـي التّأهيـل والتّدريس والتّكويـن في علم السّـاعة وفقه التّحوُّلات ـ عقدتم فصلاً عن (فقه المبادرة) وأشرتم إلى سـبع مشـكلات عالميّـة وصفهـا النّبيُّ عليـه الصَّلاة والسَّـلام الفقر المنسـيُّ والغنـى المطغي والمرض المفسـد والهرم المفند.. المذكـورة في الحديـث[1] وقلتم إنَّ الحلَّ هو المبـادرة بالأعمال، ووجَّهتم إلى مسألة الاكتفاء الذَّاتيِّ كنوع من أنواع فقه المبادرة في أمام المشكلات العالميَّة.

نعم وأكبر مشـكلة واجهناهـا حتىٰ مع طلبتنـا وخويصتنا في الأربطة ومدرِّسـيهم هذه المسـألة المتعلِّقـة بالاكتفاء الذَّاتيِّ لأسـباب كثيـرة جزء منها لأنـه نحن لم نقـدر أن نقيِّم ضوابط الاكتفـاء الذَّاتيِّ بالطَّبع لأسـباب تختلف عندنا، مسـألة الجانب التَّمويلـيِّ لأن المرحلة تقتضي أن توجد تمويلاً مناسـباً للمرحلة وهذه تحتاج إلىٰ أشياء كثيرة.

---

(١) عـن أبي هريـرة، أن رسـول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سـبعاً هل تنظرون إلا إلىٰ فقر منس، أو غنىٰ مطغ، أو مرض مفسد، أو هرم مفند، أو موت مجهز، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهىٰ وأمر». «سنن الترمذي»، (٢٣٠٦).

هذا جزء منه تغول على قرار الأمَّة؟

بالطبع لأن العالم الغربيَّ ملك، أنا أعطيك مثال حصل: مثلاً في مرحلة من المراحل مع بداية مرحلة الحماية للدُّول الاستعماريَّة في البلاد العربيَّة كان عندنا في اليمن الدَّولة البريطانيَّة يزور مستشاريها وخبراءها القرى والمدن، مثل عندنا منطقة العوالق السُّفلى، أذكر هذا الشيء حصل، وكانوا بعض الشَّخصيَّات التي بقيت وعايشت هذا الكلام، مثلاً جاء أحدهم إلى منطقة عندنا منطقة زراعيَّة استضافه فيها رجال السُّلطة، وحضر الضِّيافة، فكان ينظر للمفروش في الطَّعام لا يوجد فيه شيء مستورد حتى نوعيَّة المائدة التي يأكلون عليها يسمُّونها عندنا طبق، هي عبارة عن شيء مصنوع من الخوص في البلد الذي يسكب فيه المرق واللَّحم، كلُّها مصنوعة من الخشب الموجود في البلد.

يعني المائدة بما فيها ومن فيها محلِّيّ؟

نعم كلُّ ما فيها محلِّيٌّ، فكان الرَّجل متجهماً ومستعجباً ومستغرباً حتى باح بسرِّه لأحد الأشخاص الذي يعملون معهم، وقال له ما دمتم هكذا وعلى هذا يصعب استعماركم لا بد أن

تحتاجـوا إلينا، وهذا لا بد أن نعمل خطَّة لأجل تصبحوا تحتاجوا إلىٰ السُّوق وإلا لن يكون هناك استعمار.

إذن معنىٰ ذلك أنَّ الاسـتعمار يبدأ أوَّلاً بغسـل الأفكار ثم بالاقتصاد أي الاعتقاد والاقتصاد، ليبنوا عليه السِّياسة الاستعماريَّة في العالم بهذه الصِّفة حتىٰ صرنا الآن نحن محتاجين للاستشارة في كلِّ شيء. العالم الغربيُّ صار هو المستشار في كلِّ شيء وهذا ليس ذمَّاً للعالـم الغربيِّ، لكن ذمٌّ لنا نحن الأمَّة الإسـلاميَّة التي فقـدت مقوِّماتهـا حتىٰ في شـأن اقتصادها وما تـأكل! لاحظ أنَّ المدرسـة الحضرميَّة كمثال عندنا فـي عصر الفقيه المقدَّم محمَّد ابن عليّ باعلويّ ومن قبله ومن بعده بَنت نفسـها علىٰ الاقتصاد، يعنـي الإمام المهاجر أحمد بن عيسـىٰ منذ خروجـه من العراق إلـىٰ حضرموت أعاد ترتيب الاقتصاد حتىٰ لم يكن يحتاج لا إلىٰ نظـام ولا إلىٰ دولة ولا إلىٰ أحد آخر.. كان طلبة العلم والتابعون والمحبّـون يعملون في المؤسَّسـات الاقتصاديَّـة التي كانت في تلك الحالة علىٰ صفة البدائيَّة، وكان يموِّل السُّـلطات يعطي غيره وكلُّهم ينتجون هذه المشكلة التي فقدناها.

الآن نحن لسـنا فقط في إقامتهـا، نحن نريد أن نقنع طالب العلـم المعاصر أن يكون إنسـان عنده رغبة فـي الاكتفاء الذَّاتيِّ!

الآن طالــب العلم ما عنده رغبــة في الاكتفاء الذَّاتــيِّ يفكِّر دائماً فــي الوظيفة، ففي عصرنا يوجد ثلاثة محاور كلُّ هذا الجيل يفكر فيها: الشَّــهادة والوظيفــة والمرتَّب الثُّلاثيُّ الذي يعيشــون عليه، وترىٰ بعضهم إذا فرغ من ذلك ووجد الشَّهادة والوظيفة والمرتَّب هكذا يقول الحمد لله.

هــل يعني ذلك سيِّدي أنَّنـا أصبحنـا مسـتهلكين إعلاميَّاً ومستهلكين ثقافيَّاً؟

مستهلِكين ومستهلَكين.

يعني لم نعد ننتج لا فكرنا ولا وعينا ولامشـاعرنا وأظن هذا عبَّرتـم عنه في محاضرة قبل سـنوات وقلتم نخشـى على الأمَّة من اغتيال السَّرائر.

وحصل الآن في كثير من الأحوال أنَّ الناس ترمي بنفســها في هــذا الصِّراع نتيجة الجــوع.. المرأة ترمي بنفســها في الخنىٰ والأذىٰ لوجــود الجــوع، لا يوجد اكتفاء ذاتــيٌّ، لا يوجد إمكانيَّة إيجاد الاكتفاء الذَّاتيّ.

الاكتفــاء الذَّاتــيّ هو بنــاء الفرد لنفســه، أن يبني الإنســان الفرد لنفســه، ثم بناء رجل الأســرة لأسـرته، ثم بنــاء المجموعة

بنظـام المجموعة، ثم بناء البلد بعمومها في نظامها الخاص وإلىٰ ذلك حتـىٰ تصل بعد ذلك إلىٰ نظام اقتصاديٍّ للأمَّة يقوم بمفهوم التَّكافل الاقتصاديّ.

نسمع مثلاً عندما يقول لك السُّودان سلة غذاء، لكن تبحث ماذا في السَّـلة ومن يشـرف عليها تجد أنهم يؤدون نفس الخدمة التي يريدها عدوُّهم الذي عبَّرت عنه بأكلة القصعة.

وهــذا الذي تعيشــه الأمَّة الآن وهي حالــة حرجة وخطيرة تكلَّم عنها النَّبيُّ ﷺ[1].

سـيِّدي أنتم من سـنوات قريبـة كان لكم مجلـس وكان لكم توجيه لبعض صنَّاع القرار في مرحلة من مراحل اليمن، وكلَّمتموهم حتـى في عبـارة لا زلت أذكرها المثلَّث المدموج، وشـرحتوها في رسـالة لكم بعنـوان «الجـواد المسـروج على المثلَّـث المدموج»، وعرضتم مسـألة إصـلاح التَّعليم وإصلاح التَّربيـة وإصلاح الدَّعوة

---

(١) قال النَّبي ﷺ: «يوشك أن تداعىٰ عليكم الأمم من كل أفق كما تداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها»، قال: قلنا: يا رسـول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتـم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السـيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن».قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «حب الحياة وكراهية الموت ». «مسند أحمد»، (٢٢٣٩٧).

إلـى الله يكون الاكتفاء الذَّاتـيٍّ لليمن كيمن أين تجدون صدى هذه الدَّعوة في هذه الأيام؟

وجدنـا هـذا عند بعـض رجال القرار وعندهـم الرَّغبة فيه لكن دائماً رجل القرار يضع تحته سـقفاً آخر؛ السَّـقف الآخر هو الذي يتحكَّم في مصير الناس ومصير الخلق ومصير الأفكار التي تطرح؛ لأنه لا يسـتطيع أن ينفِّذ كفرد، لا بد يحتاج لسقف معيَّن، هذه الأسـقف المعيَّنة التي عايشـناها وعاصرناهـا وجدناها أنها هي التي تميِّع وتضيِّـع الأفكار، بل حتىٰ تصيبك بالإحباط فتترك الأمـر؛ لأن الإنسـان قد يكون وقته أهم من أن يشـغل نفسـه في أفراد يفكِّرون في الولاء لهم أكثر مما يفكِّرون في الولاء لأوطانهم وهذا إشكال كبير عاصرناه في مراحل معيَّنة، ولهذا رأينا أنَّ العود مرة أخرىٰ للشُّعوب الحلُّ هو عند الشُّعوب.

سـيِّدي أنـا أعتذر على سـوء أدبي بين يـدي حضرتكم لكن الـذي يراكـم يقـول أنتم علمـاء مربيِّن دعـاة، لمـاذا أربطـة التَّربية الإسـلاميَّة جزء من خطابها المهنيَّة، هذه المهنيَّة، ليسـت مجالكم لماذا دخلتم إلى هذا المجال؟

المهنيَّـة مجالنا مجال الأمَّة المُحمَّديَّة، ماذا تجد في العالم مـن اختراع وصناعـة تجده مربوطـاً بالدِّين، مربوطـاً بالكتاب،

مربوطـاً بالسُّـنَّة، إذن فالثَّـورة الصِّناعيَّـة التـي يسـمُّونها الثَّورة الصِّناعيَّـة في العالم، لـو تقرأ جذورها إنما هـي معمَّدة من عند النَّبـيّ مُحمَّد ﷺ، أدرك ذلك من يدرك واسـتعجب من ذلك من يسـتعجب واستنكر ذلك من يسـتنكر لماذا؟ لأن البناء الصِّناعي في العالم ما أتىٰ إلا في مرحلة النَّبيِّ مُحمَّد ﷺ هو راعي المرحلة الأصلي، ورعاية المرحلة مبنيَّة علىٰ الكتاب والسُّنَّة.

وأذكر أنه حصل حوار بين الفرنسـيِّين هناك حـول مسـألة جرت بين هارون الرَّشـيد وشـرمان الذي كان ملك فرنسا عندما بعـث إليه هارون الرشـيد في مرحلـة اليقظة ومرحلـة البعد عن تأثيـر العالـم الغربيّ والشَّـرقيّ فيهم، وعندما بدأ الإسـلام يُنضج العقل العربيّ والإسـلاميّ صنعوا السَّاعة كما هو معروف أوَّل ما صنعت في عصر هارون الرشـيد، فأرسل هديَّةً لهذا الملك ومعه وفـد، فلما وصلت إليه في مجلســه واجتمعوا وقدموها إليه لـم يلمســها ورفض أن يلمسـها وقال: أنَّ العرب يستخدمون الجنَّ، لاحظ اللَّفظة أنهم لا زالت عندهم أفكار الجنِّ والسِّحر وأشباهها معشعشـة في أذهانهم ربما تكون مثل العالم العربيِّ والإسـلاميِّ الذي عشعشـت فيه هـذه الأفكار حتىٰ هيمنت عليـه في الإبداع فلـم يعد يدرك شـيئاً نتيجة ذلك، وإلا فالأصـل أنَّ أيَّ اختراع أو

أيَّ اكتشـاف جزء من صوفيَّة المسلم، لأنه حتىٰ المنهج الصُّوفيُّ لا يمكن أن يكون الإنسان صوفيّاً حتىٰ يستطيع أن يأكل من عمل يده ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ آية [٣٥] في القرآن في سـورة يس إشارة إلىٰ العمل الخصوصيِّ الذي يؤدِّيه الإنسان في ذاته.

الوظيفة دائمـاً نقول ثانويَّـة الاعتبـار، الهدية من الآخرين والمساعدات، عندما نرىٰ المساعدات وهذا الناس ربما لا تدركه أنَّ هـذا العالم القائـم علىٰ المنظَّمات والمسـاعدات أنها عمليَّة شـيطانيَّة يراد بها إفقار الشُّـعوب وضياع الشُّـعوب حتىٰ تتمزَّق، فمظهرهـا مظهـر إنسـانيٌّ ـ كما يقولون ـ لكن وظيفتهـا وظيفة شـيطانيَّة لأجل جعل الشُّـعوب دائماً ترتبط بهذه المنظَّمات التي لها دور بالسِّياسـة الصَّليبيَّة، بسياسـة الكفر، بسياسة تغيير عقول الأجيال، حتىٰ نصل إلىٰ المدرسـة الحديثة، وكم إذن نتحدَّث في هذه الأبواب إذا فتحت ربما لا تنغلق.

إذن تحتـاج إلـى تفصيل أكثر أشـكر لكم هـذا التَّوجيه وهذا التَّنبيه الوجيه. إذن أحبَّتي هي دعوة لأن يكون لكلٍّ منا مشروعه في بيته وسـاعة محيطه ودائرة الخويصة، لأن أعمالنا كأفراد هو نتاجنا كمجمـوع. وصلَّى الله وبارك على سـيِّدنا ومولانا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم والحمد لله ربِّ العالمين.

رسائل إلى حملة البيارق

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا مُحمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم إنا نسألك بفاتحيَّة الفاتح الفتح التَّام ونسألك بخاتميَّة الخاتم حسن الختام.. وبعد؛

نحن نحاول في هذا الموضوع سيِّدي أن نرتِّب بيت البيارق وحملة البيارق خصوصاً أنه امتدَّت معنا سابقاً.. طوفنا بين الرَّسم بين الشِّعر، التَّفكير والأطروحات والمفاهيم والتَّربية، الاكتفاء الذَّاتيّ، وفي الأوسمة، الشِّعارات، الرُّموز، الرَّايات وفي كلِّ موضوع كان لها الوراثة.

ما هي نظرتكم في ختام المواضيع؟ إلى جانب ذلك هل ثمَّة رؤيا معيَّنة توصون بها أو توجيه معيَّن لكم في هذا؟

أوَّلاً بالطبع نشكرك على هذه الاهتمامات التي فتحت أبواباً وآفاقاً إن شاء الله أرجو أن تكون عاملاً مساعداً لكلِّ محبٍّ ولكلِّ مستمع لأجل يفيد ويستفيد.

الشَّيء المطلوب لأن الذي تكلَّمنا عنه سابقاً هو عبارة عن مفاتيح أو عبارة عن فصول معيَّنة لعلوم عديدة تنظم وتعيد التَّرتيب لهذا الدِّين بعمومه، ولهذه الوراثة الشَّرعيَّة التي خلفها لنا حبيبنا ونبيِّنا مُحمَّد ﷺ، وهي أيضاً تلمّ بكلِّ محتاجات الأمم والشُّعوب والبشريَّة وتحمل نصيباً من الحلول، وإن كانت حتىٰ الآن هي نظريَّة لكن بلا شك أنَّ العمق في الجانب التَّنظيريّ يساعد يوماً من الأيام علىٰ الجانب التَّطبيقيّ لأنه من لم يضع خطة لا يستطيع أن ينفِّذ عملاً.

فأعتقد أنَّ الحلقات هي وضعت أصول وأسس الدِّراسة الرُّباعيَّة لأركان الدِّين كأصل ثم التَّفريعات المتعلِّقة بكِّل علم فيما يخصُّه.. ماذا يخصُّ علم الإسلام بتفريعاته؟ ماذا يخصُّ علم الإيمان بتفريعاته؟ ماذا يخصُّ علم الإحسان بتفريعاته؟ ماذا يخصُّ علم المتغيِّرات بتفريعاته؟ وكيف يعود هذا العلم باعتباره علم آخر الزَّمان علىٰ أوَّل الزَّمان؟ وكيف بالإمكان من خلال الدراسة والمتابعة والمراجعة؟ ووجود الرِّجال إن شاء الله تكونوا منهم والمتابعون لهم أن يعيدوا البحث المتعلِّق بالنصوص.

النُّصوص هذه هي جواهر في حياتنا نحن كأمّة إسلامية، وهذه لا توجد عند الشعوب الأخرىٰ؛ لأن العالم الآخر عندهم

نصوص لكنها حُرّفت، فالحمد لله أنَّ هذا الدِّين محفوظ بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، إذن فنحن نملك ثروة عظيمة جداً لا تملكها الشُّعوب والأمم وفيها الحلّ، اللهم أننا في غفلة، وحتى علماءنا ومشايخنا ـ حفظ الله الجميع وجزاهم الله خيراً فيما قدَّموا ـ يحتاجون إلى إضافة تتناسب مع الزَّمان، تتناسب مع الحضارة، تتناسب مع العصر، تتناسب مع هذا الانفتاح الذي صار العالم فيه كأنه غرفة واحدة، وهذا لا يتأتَّى أصلاً بشيء مما تعيشه الناس الآن، لأن هذا جزء منه إما تخبُّط أو وصل إلى تخبُّط وخاصَّةً في إيجاد حلول بين الشُّعوب. أمَّا في التَّعبُّد كلُّ الأمَّة تعبد الله في مسائل الإيمان والغيبيَّات كلُّ شيء معروف على ما هو عليه، لكن إيجاد حلول للَمِّ الشَّمل إيجاد قواسم مشتركة بين الشُّعوب إزاحة هذه البغضاء والحقد المتوارث في الجماعات في الأمَّة الإسلاميَّة في مذاهبها يحتاج إلى إعادة نظر من خلال فقه التَّحوُّلات وهذه المفاصل التي تناولتموها وغيرها مما سيتناول في هذا الجانب.

وأنا اعتقد ـ وهذا ما أرجوه ـ أنه عندما يظهر الجيل الذي نسمِّيه جيل السَّلامة وجيل القراءة الواعية وجيل اللُّغة الجديدة في الخطاب الإسلاميِّ سيساعد وسيساهم في حد ما في تقارب

الأمَّة الإسـلاميَّة ولو حتىٰ علىٰ بعض القواسم المشتركة، وأيضاً لفتة نظر للعالم الآخر أنَّ لدينا حلولاً وليست لدينا أزمات نبحث عن حلولهم فيها.

سيِّدي في رسالة لكم بعنوان «البذور والجذور» تناولتم قراءة تحليليَّة لنشأة التَّصوُّف الإسلاميِّ وواقع دراسته من جانب أركان الدِّين الأربعة، وحدَّدتم أنَّ ثمَّة مشكلتين كبيرتين، اتجاه مسألة النَّظر إلى التَّصوُّف الأولى تكمن في مصدر التَّصوُّف ونشأته، ولعلَّه في بعض المواضيع سابقاً أشرتم إلى المصدريَّة في مرحلة الإمام الحسن وارتباطها بالزُّهد للتَّحول الحاصل وقراءة الزَّمن والتَّغيُّر، وكذلك سلبيَّات التَّصوُّف وثمراته عبر المراحل والأجيال المتعاقبة. وعنونتم في هذا الكتاب وهذه الرِّسالة إلى تصوُّف المواقف ومواقف التَّصوُّف، وأشرتم إلى ضرورة مركبات الحل الناجع، ماهي رسالتكم إلى حملة البيارق في ختام المواضيع حول هذا الأمر كونه أنَّ هناك كثيراً يستشرف هذه المتابعة وينتسب إلى مدارس ذوقيَّة أو يتابعها أو هو في دائرتها أو يحبُّها أو يبحث عنها.

جميل، نخاطب أهل البيارق أو الرَّاغبين في أن يدركوا ما تعنيه البيارق أو ما تشير إليه أو ما يتحدَّث به لهم أنَّ الاهتمام

والاعتناء بهذا العلم يسهم مساهمةً كبيرةً لهم في مواقعهم إن كانت فقهاً أو حديثاً أو تصوُّفاً أو غير ذلك، وأنَّ الإشكال الذي دُرس في هذه الرِّسالة هي «البذور والجذور» يقوم علىٰ أمرين كما ذكرتم الأمر الأوَّل: متعلِّق بمفهوم نشأة التَّصوُّف والبحوث الموجودة الآن. نحن نرىٰ الجامعات والدَّارسين والدَّارسات وغيرهم من يتكلَّمون عن كتب الإمام الغزاليِّ أو عن المحاسبي أو عن من قبلهم أو من بعدهم دائماً يضعون قواعد الدِّراسة علىٰ أساليب استشراقيَّة أو ما يشبهها نسمِّيها الأساليب التَّوليفيَّة، لكن في فقه التَّحوُّلات الدِّراسة مبنيَّة علىٰ الجانب النَّصيِّ لا علاقة لها لا ببحوث المستشرقين ولا بتفصيلهم لمصدر التَّصوُّف في اللُّغة، ولا لمصدر التَّصوُّف فيما أدركه الناس من التَّعاريف، هذه لها حكمها ضمن إطار التَّصوُّف لكن عندما نتكلَّم عن التَّصوُّف كعلاج والتَّصوُّف كحلٍّ ومربوط بعلم الإحسان كما في الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1] يعاد النَّظر إلىٰ أمرين: أوَّلاً الكلام عن التَّصوُّف من حيث التَّأسيس ما هو التَّصوُّف؟ إذن فالمسألة مبنيَّة علىٰ القرار وليست مبنيَّة فقط علىٰ العلم، فهذا أصل في نشأة التَّصوُّف فإذا فصَّلنا وبيَّنَّا هذا سيعيد

---

(١) «صحيح البخاري»، (٥٠)، و«صحيح مسلم»، (٨).

الصُّوفيُّ وغير الصُّوفيُّ ما هي المسألة المتعلِّقة بشرف التَّصوُّف كعقيدة وكديانة وكخدمة لمسائل الذَّوق والنَّظرات لما يدور في هذه الحياة.

الأمر الثَّاني: ما يتعلَّق بمفهوم آخر وهو ما عرف الآن في حديثنا، تكلَّمنا أوَّلاً عن الجانب الأوَّل المتعلِّق بالبذور والجذور في النَّشأة ثم عن السَّلبيَّات. نحن وصلنا الآن إلىٰ الصُّوفيَّة مذمومة في كثير من نظر النَّاس وخاصَّة بعد ظهور المدارس المنازعة والمعارضة لها، فنحن نحتاج كمرتبطين بهذه المدرسة ومرتبطين بهذه الطُّرق ومرتبطين بهذا المنهج ومرتبطين حقيقةً بمنهج الإحسان أن نجدِّد الرُّؤية فيه؛ أي أن نعيد ترتيبه لسببين؛ السَّبب الأوَّل: أننا نصدُّ الهجمات التي ربما كان أصحابها وجدوا عندنا نصيباً من الخطأ فدخلوا علينا من أخطائنا وأرادوا أن يطمسوا الحقائق.

والأمر الثَّاني: أنَّ بعض اللُّغة المتعلِّقة بالتَّصوُّف لا تتناسب مع الحياة ولا تتناسب مع الزَّمان ولا تتناسب مع المكان تحتاج إلىٰ إعادة مخاطبة.

ولا أقصد إعادة تقعيد، التَّقعيد كما هو والرُّجولة ومراتب الصُّوفيَّة ومقامات الرُّجولة كلُّها كما كانت، بل أنا رأيت في

حياتي الخاصَّة مع مشايخي أنَّ التَّصوُّف كلّ يوم يتجدَّد في معانيه وفـي رؤاه وفي ثوابته مـن خلال مفهوم التَّجديـد كلّ ما جددت الرُّؤيـا، كلّ ما قرأت كتاب للإمام الغزالـيّ وجددت فيها الرُّؤيا، كلّ مـا قرأت للمحاسـبي وجـددت الرُّؤيا، قـرأت لأحد أولئك الرِّجال تجد أنه يستجيب وهذه من صفات الدِّيانة بل من صفات القرآن ومن صفات السُّنَّة أنها تستعيد لك الثَّوابت التي تبني عليها حقائق الأمور.

فنحـن محتاجون إلىٰ النَّظر أوَّلاً في نشـأة التَّصوُّف ثم في السَّلبيَّات التي طرأت علىٰ التَّصوُّف وإعادة القراءة بوعي وبحوث تكتب في هذا الأمر من طلبة العلم من الباحثين حتىٰ تعاد الصِّياغة لكن بهذا الشَّـرط. ليس الأمر مبنيـاً علىٰ قراءة الكتب المطروحة في السَّـاحة بل قراءة فقه التَّحوُّلات وعلاقته بالإحسـان وعلاقته بالإسلام وعلاقته بالإيمان.

قبل فترة خاطبتم أبناء أهل البيت وفتيان بني هاشـم وشـباب السَّـادة برسالة شـخصيَّة[1] من قلبكم.. اليوم أهل البيت من حملة

---

(١) اسمها: «رسالة شخصية لأبناء وبنات السادة العلوية من ذراري الإمام المهاجـر والفقيـه المقـدم ومن ارتبـط بمنهجهم المبـارك من داخل وخارج الديار الحضرمية».

البيـارق الذين يتابعونا وهم صمَّـام الأمان وطوق النَّجاة والسَّـفينة التـي من ركبها فقد نجى ومن تركهـا فقد هلك، ما وصيَّتكم ضمن الصِّراع الدَّائر في المرحلة اليوم لهم؟

وصيَّتنـا النَّظر للسَّـفينة فإنها تكاد أن تغرق.. السَّـفينة هذه الـذي تكلَّم عنها النَّبيُّ ﷺ وأطلق عليهم سـفن النَّجاة[1] والثِّقل الأصغر يجب أن يعودوا إلىٰ حقيقة مدلول السَّـفينة وإلىٰ مدلول الثِّقل الأصغر؛ لأن الشَّـيطان سلب علىٰ كثير من أهل البيت هذه المسـألة المتعلِّقة بالمادَّة التي تقيم قوام السَّـفينة والتي تقيم قوام مفهوم الثِّقل الأصغر وخلطها بكثير من الصِّراعات الموجودة في سـاحة الحركة وجعل الحوادث إطاراً لسـير السَّـفينة ولم يجعل النُّصوص.

فنحن نقول لكلِّ منتمٍ لهذا البيت المبارك من أهل الكسا أو من ينتمي لعموم مفهوم أهل البيت أو من ارتبط بهم أو من أحبَّهم أو من نسـمعه إلىٰ الآن يصلِّي عليهم وعلىٰ الآل وعلىٰ أصحاب النَّبـيِّ ﷺ. إننا نحتاج إلىٰ إعـادة ترميم لهذه السَّـفينة التي نحن

---

(١) في الحديث عن النبي ﷺ قال:«مَثلُ أهل بيتي مَثلُ سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّـف عنها غرق». انظر: «المسـتدرك علىٰ الصحيحين»، (٣٣١٢).

أهملناها أو أدخلنا عليها ما ليس منها، فتحتاج إلىٰ إعادة قراءة وكلٌّ منهم يعرف يقيناً أنه لديه نصيب من الحصانة ما دام مرتبطاً بأهله وبسلفه وبعرقه الشَّرعيِّ مع الأدب مع حسن الخدمة للدِّين أنه يحتاج إلىٰ إعادة النَّظر فقط في الجانب الفكريِّ والجانب المتعلِّق بثلاث أمور أولاً الولاء والبراء والانتماء.

اقرأ أنت ولاؤك لمن؟ وبراؤك ممن؟ وانتماؤك مع مَن؟ فإن وجدت هذا الارتباط مبنياً علىٰ نفس النِّظام الذي وضعه رجال السَّفينة ووضعه الإمام عليّ بعد النَّبيِّ مُحمَّد ﷺ ومواقفه التي أقامها في معاملته مع ضدِّه وندِّه وما فعله الإمام الحسن وما فعله الإمام الحسين كإقامة حجَّة علىٰ الشُّعوب في أنه أراد أن يحقِّق أمل الشُّعوب، لكن قامت الحجَّة علىٰ المحبِّين والمتخاذلين، والنَّبيُّ يقول هكذا: «من أدركه منكم فلينصره»[1] إذن لم ينصروه في حالة ما أدركوه فما بعد ذلك إلا تهوكات وإضاعة أوقات.

كلمتكم سيِّدي إلى كتل المناهج الأحزاب المدارس الإسلاميَّة تحت خيمة الإسلام الكبرى.

نقول أخرجوا أنفسكم من هذه الدَّائرة التي نحن وإياكم

---

(١) انظر: «دلائل النُّبوَّة»، للأصبهاني (٤٩٣)، و«إمتاع الأسماع»، للمقريزي (١٢: ٢٤٠)، وغيره.

نسير فيها ويسوق الشَّيطان هذه القافلة ويجرُّها بخطام ربما أودىٰ بهـا إلىٰ ما أطلـق عليه القـرآن ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطـر: ٦]، فحـزب الشَّـيطان متعدِّد الأنفـاس، متعدِّد الأنواع، متعدِّد الصِّفات، متعدِّد الهيئات، متعدِّد الكيفيَّات، متعدِّد الجنسيَّات، وكلُّ مرة يربط بهذا الحزب مجموعة لأجل يسحبهم والعيـاذ بالله ويجرُّهم إلـىٰ النَّار من خلال السُّـلوك العمليِّ في الدُّنيا؛ لأن كلمة السَّـعير تنقسـم إلىٰ قسمين: قسـم متعلِّق بالدُّنيا يـؤدِّي والعياذ بالله إلىٰ المصير في الآخـرة، ونرىٰ أنَّ أهل البيت ومـن يحبُّ أهل البيت والقائمين علىٰ منهجيَّة أهل البيت من كلِّ المذاهـب أيّـاً كان مذهب الرَّجل من أهل البيـت كانوا إماميَّة أو كانوا زيديَّة أو كانوا شافعيَّة أو كانوا مالكيَّة أو كانوا حنبليَّة أو تحت أيِّ مسـمَّىٰ من المسـمَّيات أنَّ المسألة ليسـت مبنيَّة علىٰ التَّكتُّل والتَّخندق ضمن الأطر المتفرِّقة فإن هذا من عمل الشَّـيطان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، إذن ابحثوا عن الضَّمير المشـير به إلىٰ منهم ونرجع إلىٰ مصدر العطاء المُحمَّـديِّ في مفهوم السَّـفينة في مفهوم البنـاء الحقيقيِّ للأمَّة المُحمَّديَّة والحلُّ بأيديكم.

نسـتأذنكم في الخواتيم أن نتبارك بدعواتكم لنا وللمسلمين أجمع ولغير المسلمين ولمن يتابعنا في هذه اللَّحظات.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ سيِّدنا مُحمَّد وعلىٰ آل سيِّدنا مُحمَّد، اللهم اجعل ختامنا في هذا المجلس خيراً، وبارك اللهم في هذه الحلقات، وبارك اللهم فيمن تهيَّأ له أسباب خدمتها، واجعلنا وإيَّاهم والمتابعين أجمعين في خدمة هذه الدَّعوة، في خدمة هذه النُّبوَّة، في خدمة الأبوَّة، في خدمة إظهار البيارق المباركة التي يظهر الله بها سرَّ العلم وبركة العلم ونور العلم وحقيقة العلم وصورة العلم، وأسأل الله أن يرزقنا الأدب مع أمَّة مُحمَّد أجمعين ومع العلماء ومع الصُّلحاء ومع كلِّ ذي رؤيا ومع كلِّ ذي عطاء ومع كلِّ ذي فيض.

ونسأل الله أن يجعل ما تكلَّمنا به وما تحدَّثنا عنه وما قلناه وما يسرَّه الله خدمةً لله وخدمةً لنبيِّه وخدمةً لكتابه وخدمةً لأمَّته، وإعادة تجديد وترتيب لهذه الأمَّة التي منَّ الله عليها بهذا العطاء الواسع مما جاء به حبيبها ونبيُّها مُحمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام.

إلهنا وسيِّدنا ومولانا توجَّهنا إليك في هذه السَّاعة المباركة في ساعة هذه الاختتام أن تبارك لنا في هذه السَّاعة وأن تبارك لنا في هذه اللَّحظة وأن تبارك لنا ومع المتابعين وكلُّ من يحضر في هذا الوقت.

وأسأل الله أن يطوي الأرواح في الأرواح، والنِّيَّات في النِّيَّات، والأحوال في الأحوال، والصِّفات في الصِّفات، والذَّوات في الذَّوات، ويجعلها معنىً من معاني سرِّ التَّحوُّلات التي تقيم إن شاء الله الآيات البيِّنات في حقيقة النِّيَّات والمقاصد الظَّاهرة والباطنة.

ونسأل مولانا يحفظ أمّة لا إله إلا الله، اللهمَّ ارفع عن أمَّة مُحمَّد ما حلَّ بها من الإحن ومن الفتن ومن المحن الظَّاهرة والباطنة، وأن يلهم حكام الأمَّة ويلهم أحزاب الأمَّة ويلهم جماعات الأمَّة ويلهم فئات الأمَّة على مختلف أفكارها وآرائها وتعدُّدها أن تلتقي على قواسم الدِّيانة المشتركة التي لا توجد إلا في هذا العلم في علم كتاب الله وفي علم سنَّة نبيِّه ﷺ.

اللهم اجمعنا على هذا العطاء وعلى هذا الفيض، واحفظنا من الشَّيطان واحفظنا من النَّفس واحفظنا من الهوى واحفظنا من الدُّنيا واحفظنا من التَّحريش واحفظنا من المنافسة، وسِر بنا في طريق السَّلامة على ما تحبُّه وترضاه.

اللهم إنَّ هذه السَّاعة من ساعات فيضك، ساعة من ساعات عطائك، امنن علينا فيها بذلك واجعلنا أهلاً لما هنالك، واختم لنا بالحسنى أعمالنا وأعمارنا وأنت راضٍ عنّا.

وبارك اللهم لنا في أخينا عون، وفي كلِّ من تابع وفي كلِّ من حضر وفي كلِّ من خدم، واجعل هذه الخدمة تعود علينا وعليهم بعائدات الرُّتب عند الحقِّ سبحانه وتعالى، والقرب من سيِّد الخلق إن شاء الله، والخدمة الكاملة لساداتنا أهل البيت ولأمَّة لا إله إلا الله على منهج الشَّرعيَّة الوسيطة المباركة، وعلى منهج الاعتدال الواعي وعلى منهج النَّمط الأوسط الذين جعلهم الله مخرجاً لهذه الأمَّة. اللهم بارك لنا في ذلك واجعلنا إن شاء الله سائرين في الطَّريق المباركة التي سار فيها خيار الفريق مع الحفظ واللُّطف للأمَّة المُحمَّديَّة أجمعين ظاهراً وباطناً والحمد لله ربِّ العالمين.



فهرس المصادر والمراجع

- إحياء منهجيَّة النَّمط الأوسط من سادة الصُّلح وبقية السَّيف، للحبيب أبي بكر العدني ابن عليّ المشهور.
- إمتاع الأسماع بما للنبيّ ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن عليّ العبيديّ المقريزي.
- دلائل النُّبوَّة، لأبي نعيم الأصبهاني.
- سنن ابن ماجه.
- سنن أبي داود.
- سنن الترمذي.
- سنن الدارقطني.
- السُّنن الكبرىٰ، للبيهقي.
- السُّنن الواردة في الفتن، لعثمان بن سعيد الداني.
- صحيح ابن حبان.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.

- المستدرك على الصَّحيحين، للحاكم النيسابوري.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل.
- مصنَّف ابن أبي شيبة.
- المعجم الأوسط، للطبراني.
- منتهى السُّؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرَّسول ﷺ، لعبد الله ابن سعيد الحضرمي الشحاري.
- النُّبذة الصُّغرى لمعرفة الرُّكن الرَّابع من أركان الدِّين وعلاماته الكبرى والوسطى والصغرى، للحبيب أبي بكر العدني ابن علي المشهور.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**